



بطريركية الاقباط الارثوذكس

القديس كيرلس الاسكندري

مؤلفانه ونعيمة اللاهوتية

✠ مؤلفاته ورسائله وعظاته

✠ تعاليم القديس في

- * الثالوث القـــــــدوس
- * ا لتجســــد
- * القديسة العذراء والدة الإله
- * الخـــــــلاص
- * الإنـــــــسان
- * أمتيازات العهد الجديد
- * سر الأفخارــــستيا

دكتور

موريس تاووضروس

أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية



بطريركية الاقباط الارثوذكس

القديس كيرلس الاسكندري

مؤلفاته ونعليمة اللاهوتية

• مؤلفاته ورسائله وعظاته

• تعاليم القديس في

- التالوث القـدوس
- ا لتجسد
- القديسة العذراء والدة الاله
- الخـلاص
- الإنسـان
- امتيازات العهد الجديد
- سر الأفخارستيا

دكتور

موريس تاووضوس

أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية



قداسة الببا شنودة الثالث
ببا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

القديس كيرلس الأسكندري مؤلفاته وتعليمه اللاهوتي

تمهيد :

عندما تنيح البابا ثيوفيلس بطريك الأسكندرية في ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢ كانت رغبة رجال الحكم أن يتبعه في رئاسه الكنيسة الأرثوذكسية الأورشليمية. ولكن بعد يومين ، أختير ابن أخت البطريرك الراحل ثيوفيلس - وصار بطريكاً لكبرى الأسكندرية . وارتبط إسم القديس كيرلس الخريستولوجي بالصراع الثاني حول الخريستولوجي والذي انتهى بعقد مجمع أفسس عام ٤٣١ وإدانة نسطور . وإذ قد ولد في السكندرية ، فقد تلقى تدرية الكلاسيكي واللاهوتي في هذا المركز الكبير للتعليم وقد تعهد البابا ثيوفيلس كيرلس ابن أخته وأرسلة إلى برية شيهيت حيث تعلم على يد الأنبا سيرايون . وعاد إلى الأسكندرية حيث رسمه البابا ثيوفيلس قسيساً . وإستمر يخدم الكنيسة عدة سنوات وأنتخب بطريكاً بعد إنتقال خاله البابا ثيوفيلس . وحين رسمه الأساقفة رفعوا الأناجيل الأربعة فوق رأسه . صلوا قائلين " شدد يارب هذا الرجل الذي اخترته لرئاستنا " .

. للوقوف على تاريخ مفصل لحياة القديس كيرلس عمود الدين ، يمكن الاستعانة بالمراجع التالية :

١- الشماس منسى القمص (المتنيح القس منسى يوحنا) كتاب تاريخ الكنيسة القبطية - الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص ٢٥٩- ٢٧٤ .

٢- إيريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية (تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مارمرقس البشير) (ص ٣٨٧ - ٤٣١) .

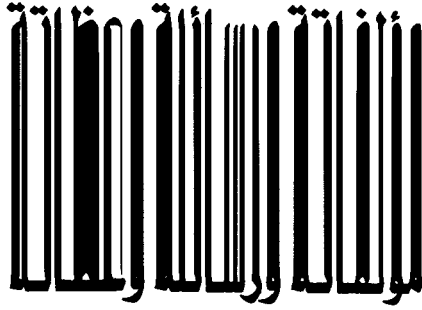
٣- القمص تادرس يعقوب ملطى : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت (كنيسة مارجرحس باسبورتنج ١٩٨٦) ص ٩٦- ١١٧ .

٤- جورج باقى : القديس كيرلس عمود الدين (مطرانية القباط الأرثوذكس بأسوان) ١٩٨٣ .

5- Quasten(j). Patrology(Voll.111 The Golden Age of Greek Patristic Literature, Spectrum, 1963.

6-Kelly (j.n.d),Early Christian Doctrines ,(A and C Black - london- fourth Edition , 1963)

الباب الأول



في هذا المجال Quasten. نعلم هنا بالأكثر على ما كتبه القديس كيرلس هو واحد من أعظم رجال الأدب المسيحي المبكر. وتستغرق مؤلفاته عشرة مجلدات من طبعة ميني (Mg 68-77) على الرغم من أن الكثير من مؤلفاته قد فقد . وكان لا يزال حياً عندما ظهرت بعض الترجمات الأولى لكتابه - كترجمات Marius Mercator إلى اللاتينية ، وترجمات Rabbulos of Edessa إلى السريانية . وقد تبع ذلك ترجمات إلى الأرمنية والآبوية والعربية . وتساعد هذه الترجمات في بعض الأحيان على التعرف على النص الكامل لما يكون قد فقد في النص الأصلي اليوناني .

وأسلوب القديس كيرلس مسهب ، وفي بعض الأحيان محكم ومنمق. على أن محتوى الكتابة يكشف عن عمق في التفكير ، وغنى الأفكار ، وضبط ووضوح في الجدل يبرهن على موهبته التأملية واللغوية ، ويجعل من كتاباته مصادر من الدرجة الأولى لتاريخ العقيدة والتعليم المسيحي: على أن الصراع النسطوري قسم نشاطه الأدبي إلى فترتين :

١- الفترة الأولى وتمتد حتى عام ٤٢٨ م ، وقد كرسها القديس كيرلس للتفسير الكتابي والمجادلة ضد البدعة الأريوسية .

٢- الفترة الثانية وتنتهي بِنياحته وقد انشغل فيها تقريباً بشكل كامل في دحض البدعة النسطورية

أولاً : مؤلفاته التفسيرية

تمثل الجزء الأكبر من كتاباته ونتاجه الأدبي . وتفسيره للعهد القديم يتأثر لدرجة كبيرة بالتقليد الإسكندري ، فهو تفسير رمزي ، وإن كان يختلف عن أوريجينوس بسبب إصراره وتأكيده بأنه ليس كل أجزاء العهد القديم تخضع للتفسير الرمزي . وتفسيره للعهد الجديد هو أكثر حرفية ولكنه مع ذلك يكشف عن عدم ميل للأخذ بالتفسير التاريخي الفيلولوجي ولتوضيح هذه المقارنة بالنسبة لوضع القديس كيرلس من مدرسة الأسكندرية - في التفسير ، ومقارنته بإتجاهات التفسير الأخرى ، لأبد هنا من الإشارة إلى الاختلاف في التفسير بين مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية .

في مدرسة الأسكندرية ، تحدث أوريجينوس عن خطورة التفسير الحرفي ، وأشار إلى فئات ثلاث تخطئ في تفسيرها للكتاب المقدس لأنها تمسك بتفسير النصوص تفسيراً حرفياً -

وهم اليهود والغنوسيون والبسطاء من المسيحيين ، كما أشار إلى معان ثلاث لنصوص الكتاب المقدس : المعنى الحرفي والمعنى الأخلاقي والمعنى الروحي أو الرمزي أو السرى . والمعنى الأخير هو الذى يأخذ به الكاملون من الدارسين ، بينما أن المعنى الحرفي يأخذ به غير المثقفين^١ .

أما المدرسة الأنطاكية ، فقد كان طابعها الذى يميزها هو التركيز على شرح النص الانجيلي فى معناه البسيط كما توجهه اللغة . ولهذا سمي بالمنهج الحرفي لأنه يأخذ بالمعنى البسيط حسب المفهوم اللغوى العادى دون الدخول فى تأملات رمزية عقلية مختلفة وراء السطور . ويسمى أيضاً بالمنهج التاريخي لأنه يأخذ الحقائق التاريخية الواردة فى الكتاب المقدس خاصة ماجاء فى العهد القديم ، كحقائق واقعية بعكس النهج الرمزي الذى يتجاهل قيمتها التاريخية ، بل وأحياناً لدى المبالغين فى المنهج ينكر وقوع بعضها متطوعاً إليها كمجرد رموز معنوية لأغراض روحية^٢ .

وعن هذا الاختلاف بين مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية فى التفسير ، كتب أستاذنا نيافة الانبا أغريغوريوس فقال :

يمكن أن نقول بصفة عامة أن إتجاه مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كان يتعارض مع إتجاه المدرسة الأنطاكية معارضة أساسية . فبينما كان الإتجاه الفكرى فى الأسكندرية مطبوعاً بالنظرة الصوفية المسيحية ، كانت مدرسة أنطاكية تتسم بالإتجاه العقلى المنطقى . ويبدو أن مدرسة الإسكندرية كانت متأثرة بأفلاطون ومنهجه فى التفكير ، بينما إقتفت مدرسة أنطاكية أثر أرسطو ، وكان مذهبها فى المنطق هو المنطق الأرسطاطاليسى ، ولم يكن ثمة شئ عندهم إلا وقد خضع للمنطق القياسى ، كما أخضعوا علم اللاهوت لعمليات التفكير الفيزيقي والرياضى . وظهر هذا الخلاف واضحاً فى تفسير الكتاب المقدس وفى تعليمهم عن طبيعة المسيح . أما فى الكتاب المقدس فكانت الأسكندرية تنادى بأن لكل نص من نصوصه معينين آخرين إلى جانب معناه الحرفي أحدهما روحى والآخر رمزى . لكن أنطاكية قصرت عنايتها على المعنى الحرفي اللغوى . وأما فيما يتصل بطبيعة المسيح ، فقد كان تفكير لاهوتى الإسكندرية متوجهاً إلى لاهوت المسيح أولاً مع توكيد قضية الإتحاد بين اللاهوت والناسوت إتحاداً تاماً ، وتصوروه بطريقة صوفية ووصفوه بأنه إتحاد " حقيقى " و " جوهرى " و " أقتومى " و " طبيعى " . ولما لم يستطيعوا أن يخضعوه لمنطق قياسى أو تصور بشرى قالوا إنه " إتحاد سرى " لا يمكن إدراكه بالفهم أو العقل . وعلى عكس ذلك

١- القمصن تادرس يعقوب : إلهاء مدرسة الأسكندرية الأولى - الكلية الكاثوليكية بالأسكندرية ١٩٨٠ ص ١٥٧ .
٢- القمصن تادرس يعقوب : أقوال الآباء وكتبتهم - القديس يوحنا ذهبى الفم - الكلية الكاثوليكية بالأسكندرية ١٩٧٥ ص ١٨٠-١٨٧ .

كان تفكير لا هوتى أنطاكية متركزاً أولاً في ناسوت المسيح ، ولذلك مالوا إلى القول

بالمفصل بين طبيعتين في السيد المسيح . ولن الرزا القول بالإله لله لاسلم
دائماً على الإزدواج والإثينية¹ .

ويشير سمر نوف في كتابه " تاريخ الكنيسة المسيحية " إلى ما يسميه بمدرسة الإسكندرية الجديدة - ويكتب عن مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية ما يلي :

لقد نالت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الشهرة في القرن الثالث ، وقد أوصلها معلمها أوريجينوس الشهير الى الازدهار ، وهو بتفسيره اللاهوتى العميق النظرى وتفسير الكتاب المقدس السرى - الرمزى ، مكن فيها الطريقة التأملية . ومع هذا فالإتجاه الذى بشه أوريجينوس في مدرسة الأسكندرية بدأ يتزعزع منذ بدء القرن الرابع . فأوريجينوس بنظرياته اللاهوتية وكذلك في تفسيره الكتاب المقدس ، بلغ أحياناً التطرف ، حتى أنه خالف التقليد الكنسى . هذا التطرف الأرويجيني النظرى في بدء العصر الرابع رفضه ممثلوا المدرسة الأسكندرية ، غير راضين مبدئياً الطريقة التأملية . ففى بحثهم عقائد الإيمان والنظريات الفلسفية صاروا يوجهون إنتباههم إلى التقليد الكنسى مقابلين ومصلحين به ما أنجزوه من الآراء بمساعدة العقل بشأن العقائد . ونتيجة لهذا الإتجاه المتغير نوعاً ما ، الذى قبلته مدرسة الأسكندرية ، سميت الإسكندرية الجديدة . والرغبة في جعل الآراء في عقائد الإيمان مطابقة للتقليد الكنسى كانت الصفة المميزة لها² .

ويذكر من ممثلى مدرسة الأسكندرية الجديدة : القديس الكسندروس أسقف الإسكندرية (توفى سنة ٣٢٦) والقديس أناسيوس الكبير (توفى سنة ٣٧٣) والقديس باسيليوس الكبير (توفى سنة ٣٧٩) والقديس غريغوريوس الالهوتى (توفى سنة ٣٩١) والقديس غريغوريوس النيسى (توفى سنة ٣٩٥) والقديس كيرلس الكبير (توفى سنة ٤٤٤) الذى تمسك في تفاسيره بطريقة مدرسة الإسكندرية أى التفسير الرمزى¹ .

أما بشأن تفسير الكتاب المقدس في المدرسة الأنطاكية ، فيذكر أنه يقوم بشكل رئيسى بدرس المعنى الحزقى القريب بمساعدة تحليل اللغة . وأما الرموز في تفسير الكتب المقدسة إجمالاً فقلما كان لها أهمية في مدرسة أنطاكية² .

١- الأنبا غريغوريوس : ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة (استقبة البحث العلمى بالقاهرة ١٩٧٤ ص ٩-١١ .

٢- سمر نوف : تاريخ الكنيسة المسيحية تعريب المطران الكسندروس حجي - ١٩١١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

١- نفس المرجع ص ٢٩٩ - ٣٠٤ .

٢- نفس المرجع ص ٣٠٥ .

تفاسير العهد القديم:

(أ) كتاباً عن " السجود والعبادة بالروح والحق "

De adoratione et cultu in Spiritu et Veritate

وقد قدمت في شكل حوار بين القديس كيرلس وبلاديوس Palladius وهو المفسر الرمزي (allegorico - typological) لمقاطع معينة مختارة من أسفار موسى الخمسة . وهي لا تتبع ترتيب نص العهد القديم ولكنها جمعت دون الإشارة إلى تسلسلها ، وقصد بها إلى البرهنة على أن الناموس قد أبطل فقط في الحرف ولكن ليس في الروح . أن التنظيمات الخاصة بالتدبير الإلهي في العهد القديم يجب أن تفهم كنماذج رمزية للعبادة بالروح . وهو إذ يتخذ كنقطة بداية خطية آدم وحواء - فإن :

الكتاب (١) : يتعامل مع خلاص الانسان من عبودية الخطية والشيطان .

والكتابان (٢ ، ٣) " التبرير بالمسيح كوسيلة للحصول على هذا الخلاص .

والكتابان (٤ ، ٥) : عزم وتصميم الإرادة البشرية للمثابرة والحفاظ عليه .

والكتاب (٦) : أساس الخلاص هو محبة الله .

والكتابان (٧ ، ٨) : وأيضا محبة القريب .

والكتب (٩ - ١٣) : الحديث عن الكنيسة والكهنوت .

والكتب (١٤ - ١٦) : عبادة المسيحيين الروحية التي أشير إليها كظلال في تنظيمات

العهد القديم .

والكتاب الأخير (١٧) : خصص للحديث عن أعياد اليهود وخاصة عيد الفصح .

وتستغرق هذه الكتابات مجلداً كاملاً في طبعة " ميني " وقد كتبت قبل سنة ٤٢٩ ولكن

بعد سنة ٤١٢ م .

(ب) جلافيرا

أى المصقول اللامع . وهي عبارة عن ١٣ كتاباً تتضمن تفاسير رائعة ، وتنسب إلى نفس

الزمن ، وهي مكملة للكتابات السابقة " السجود والعبادة لله بالروح والحق " .

وتعرض هذه الكتب لمقاطع مختارة من أسفار موسى الخمسة ، وتتبع تسلسل كتب العهد

القديم ولا تقدم في شكل حوار . وتخصص منها سبعة كتب لسفر التكوين وثلاثة لسفر

الخروج ، ثم كتاب واحد لكل سفر من الأسفار التالية : اللاويين - العدد - التثنية .

(ج) تفسير سفر أشعيا

ويتكون من خمسة كتب . ويعرض المفسر المعنى الحرفي أولاً ثم بعد ذلك المعنى الروحي .

وتقدم الكتب الخمسة تفسيراً متواصلاً على أشعيا ١ - ١٠ ، ١٠ - ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ - ٥٢ ، ٥١ - ٦٦
وتستغرق هذه الكتب المجلد ٧٠ في مجموعة " ميني " . ومن المرجح أنها كتبت بعد المؤلفين السابقين على أسفار موسى ، ولكن قبل سنة ٤٢٩ .

تفسير العهد الجديد

(أ) تفسير على الإنجيل للقديس يوحنا

ويتميز بالأكثر بطابعه الجدلي العقيدى . وتشير المقدمة إلى أن اهتماماً خاصاً سوف يعطى للمفهوم العقيدى ولرفض الهرطقات . ويهتم المؤلف إلى أن يثبت من الإنجيل الرابع أن الابن من نفس الجوهر الإلهى الذى للآب ، وأن لكل منهما أقتومه الخاص . وهويهاجم بعنف تعاليم أريوس وأونوميوس والتعاليم الخريستولوجية الخاصة بمدرسة انطاكية . ولا يظهر في هذا الإنجيل إسم نسطور ولا يذكر فيه أيضاً لقب " والدة الإله " . فهذا دليل على أن هذا التفسير قد كتب قبل الصراع مع النسطورية .
ويتضمن تفسير الإنجيل للقديس يوحنا ١٢ كتاباً مقسمة إلى فصول .

(ب) تفسيره على الإنجيل للقديس لوقا

هو نموذج آخر من التفسير ، وهو في حقيقته مجموعة من المواعظ على الإنجيل للقديس لوقا ويغلب فيه الطابع العملى أكثر من الطابع الدجماطيقى على عكس الإنجيل للقديس يوحنا ، كما أشرنا سابقاً . ولم يبق من النص اليونانى سوى ٣ عظات كاملة وبعض شذرات . وهناك نسخة سريانية ترجع إلى القرن السادس أو السابع وتتضمن ليس أقل من ١٥٦ عظة . وربما يرجع تاريخ هذا التفسير إلى نهاية سنة ٤٣٠ ، حيث أنه توجد إشارة واحدة على الأقل إلى حروم كيرلس ، فى العظة ٦٣ .

(ج) تفسير على الإنجيل للقديس متى .

لم يبق منه إلا القليل من الشذرات ، ويتكون من ٢٨ فصلاً ، وقد نجح فيه القديس كيرلس النهج التفسيرى بالمعنى الدقيق للكلمة ، على نحو ما فعل بالنسبة لتفسيره على الإنجيل للقديس يوحنا . ويبدو أن تاريخ هذا الإنجيل يرجع إلى ما بعد سنة ٤٢٨ .

(د) تفاسير مفقودة .

يحوى المجلد ٧٤ من مجموعة "مبني" شذرات من تفاسير مفقودة للقديس كيرلس ، على الرسالة الى رومية والرسالتين الأولى والثانية الى كورنثوس والرسالة الى العبرانيين .

نؤذج من تفسير القديس كيرلس الرمزي

في تفسيره لدخول السيد المسيح إلى أورشليم على جحش ابن أتان (لو ١٩) قال القديس كيرلس :

لقد خلق إله الكل الإنسان على الأرض بعقل قادر على الحكمة ، له قوى الفهم ، لكن الشيطان خدعه . ومع أنه مخلوق على صورة الله أضله ، فلم تعد له معرفة بالخالق صانع الكل . إنحدر الشيطان بسكان الأرض إلى أدنى درجات عدم التعقل والجهل . وإذ عرف الطوباوى داود ذلك أقول بكى بمرارة قائلاً "والانسان في كرامة لم يفهم ، يشبه البهائم بلا فهم" مز ٤٩ : ١٢ . من المحتمل أن الأتان الأكبر سناً ترمز لمجمع اليهود إذ صار بهيمياً ، لم يعط للناموس إهتماماً إلا القليل ، مستخفاً بالأنبياء والقديسين ، وقد أضاف إلى ذلك عصيانه للمسيح الذى دعاه للإيمان ولتفتيح عينيه قائلاً : " أنا هو نور العالم من يؤمن بى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة " (يو ٢٨ : ١٢) . الظلمة التى يتحدث عنها هنا بلا شك تخص الذهن وتعنى الجهل والعمى وداء عدم التعقل الشديد . أما الجحش الذى لم يكن بعد قد استخدم للركوب فيمثل الشعب الجديد الذى دعى من بين الوثنيين . فهذا أيضاً قد حرم بالطبيعة من العقل ، كان هائماً فى الخطأ ، لكن المسيح صار حكيمته " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة (وأسرار) العلم " كو ٢ : ٣ . لذلك أحضر الجحش بواسطة تلميذين أرسلهما المسيح لهذا الغرض . ماذا يعنى هذا ؟ إنه يعنى أن المسيح دعا الوثنيين بإشراق نور الحق عليهم ، يخدمه فى ذلك نظامان : الأنبياء والرسل . فقد ربح الوثنيين للإيمان بكراسة الرسل الذين يستخدمون كلمات مقتبسة من الناموس والأنبياء . يقول أحدهم من الذين دعوا بالإيمان لمعرفة مجئ المسيح : وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبتت ، التى تفعلون حسناً أن إنبتهم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم " ٢ بط ١ : ١٩ . فإذا تفجر النهار بإشراق النور الحق لم تعد الكلمة النبوية سراجاً صغيراً ، بل صار يضاهاى أشعة كوكب الصبح .

لقد احضر الجحش من قرية مشيراً بذلك إلى حال فكر الوثنيين غير المتمدن . إذ لم يكن كمن تعلم فى مدينة - وإنما كمن عاش بطريقة ريفية خشنة وفضلة ... هؤلاء لا

يستمررون على هذا الحال بخصوص الذهن غير المتمدن ، وإنما يتغيرون إلى حالة من السلام والحكمة بخضوعهم للمسيح معلم هذه الأمور . إذن ، لقد أهملت الأتان إذ لم يركبها

المسيخ مع أنها سبق فاستخدمت للركوب ومارست الخضوع لراكبيها ، مستخدماً الجحش الذي كان بلا مران سابق ولم يستخدمه أحد .. وكما سبق فقلت لقد رفض المجمع اليهودي الذي سبق وأعطاه الناموس ، وقبل الجحش ، الشعب الذي أخذ من الأمم " .
ويعلق الأب القمص تادرس يعقوب فيقول : هذا التفسير الرمزي للقديس كيرلس الكبير أخذه عن العلامة أوريجينوس القائل " رمز للمجمع اليهودي القدم بالأتان ، إذ كان مقيداً بخطاياها ، وكان أيضاً معها الجحش مقيداً ، كرمز للشعب الحديث الولادة من الأمم . وإذ اقترب المخلص وصار الطريق لأورشليم السماوية مفتوحاً أمر بحلها خلال تعاليم تلاميذه الذين أعطاهم الروح القدس قائلاً " أقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت " يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣ كما يقول كان إحتياجه هكذا أنه إذ يجلس عليهما يجرهما من الأتعاب ، مصلحاً من أمر من يجلس عليهما لا بمعنى أنه هو الذي يستريح بواسطتهما^١ .

ثانياً : الكتابات العقيدية الدفاعية ضد الأريوسيين

إن مؤلفات القديس كيرلس العقيدية الدفاعية المبكرة جداً ، وقد وجهت ضد الأريوسيين وله كتابان في هذا المجال هما :

١- الكفر في وحدة الثالوث القدوس الجوهرية

Thesaurus de Sancta et consubstantiali Trinitate

وهو يتضمن إعتراضات الأريوسيين ورفضها ونتائج صراعات القرن الرابع . ويتبع القديس كيرلس هنا أستاذه أناسيوس . وعلى وجه التقريب ، فإن ثلث مادة هذا العمل يعود إلى كتابة القديس أناسيوس ضد الأريوسية (Contra Arianos 111) . ويبدو أيضاً أن القديس كيرلس قد إستعمل بالإضافة إلى ذلك مؤلف ديديموس الضيرير ضد الأونوميين (Contra Eunomium) ويذهب بعض الباحثين إلى القول بان هذا المؤلف هو أوضح مؤلفات القديس كيرلس ، وعلى الأخص بالنسبة لهؤلاء الذين يمكنهم أن يستخلصوا مناهجه المنطقية . وعلى الرغم من أنه ليس هناك شك في أن هذا المؤلف كتب قبل الصراع النسطوري ، فإن الباحثين يختلفون في تحديد زمن كتاباته ، ومنهم من يحدد

^١ القمص تادرس يعقوب : الاتجيل بحسب متى - كنيسة مارجرس بلبيروتج

هذا الزم بين سنة ٤٢٣ - ٤٢٥ ، ومنهم من يرجع زمن كتاباته إلى قبل هذا التاريخ أى إلى بداية عهد البطيركية التي تمت في سنة ٤١٢ م .
٢- الثالث القدوس المتحد جوهرياً

De Sancta et Consubstantiali Trinitate

وقد كتب هذا الكتاب بعد الكتاب السابق بفترة قصيرة ، ووجه لنفس الأخ نيموسيسوس Nemesius . ويتضمن ٧ حوارات بين المؤلف وصديقه هرمياس Hermias . ويشير بوضوح إلى المؤلف السابق . وإذا قورن بالمؤلف السابق يتبين لنا أنه يحمل الطابع الشخصي بصورة أكبر ، كما يتميز بالوحدة أكثر من الفصول الخمسة والثلاثين في المؤلف السابق . وتتركز الحوارات الست الأولى في الحديث عن وحدة الجوهر بالنسبة للإبن ، بينما يتركز الحوار السابق حول وحدة الجوهر بالنسبة للروح القدس .

ثالثاً : الكتابات العقيدية الدفاعية ضد نسطور المجدف

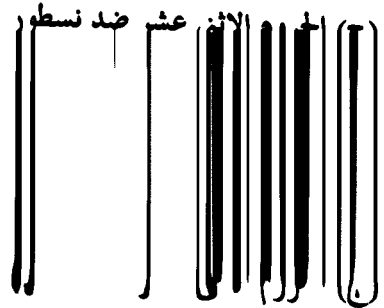
Adversus Nestorii Blasphemias

(أ) الرسائل الأولى ضد النسطورية

وهي عبارة عن الخمس رسائل (Tomes) ضد نسطور كتبت في ربيع عام ٤٣٠ م ، وتتضمن فحصاً تقديماً لمجموعة من العظات طبعها نسطور في السنة السابقة . ولم يظهر إسم نسطور في هذا المؤلف ، ولكن تتضمن هذا المؤلف عدة إقتباسات من مواظ نسطور . والكتاب الأول يتضمن رفضاً لفقرات مختارة من نسطور تجاه لقب القديسة مريم " والدة الإله " Theotokos . والكتب الأربعة الأخرى رداً على فقرات تدافع عن القول " بأقنومين للمسيح " .

(ب) الإيمان المستقيم (الصحيح) De Recta Fide

بعد بدء النزاع النسطوري بقليل في سنة ٤٣٠ م ، عرض القديس كيرلس على البلاط الإمبراطوري ثلاثة تقارير تختص بالإيمان المستقيم حتى يقضى على أى أثر لنسطور . وكان التقرير الأول موجهاً إلى الإمبراطور ثيودوسيسوس الثاني ، والتقريران الاخران موجهان الى ملكات (ad reginas) دون ذكر أسمائهن ، ولقد ذهب يوحنا القيصرى في بداية القرن السادس إلى القول بأن التقرير الأول من هذين التقريرين كان موجهاً إلى أختي الإمبراطور الصغيرتين أركاديا (Arcadia) ومارينا (Marina) وأما التقرير الثاني من هذين التقريرين فقد وجه إلى الأخت الكبيرة بوليشريا Pulcheria وزوجته أودوكيا Eudocia .



كُتبت هذه الحُرم في نفس السنة (٤٣٠). ولقد وجد القديس كيرلس أنه من الضروري أن يكتب للدفاع عن هذه الحُرم ثلاثة مقالات . في المقالين الأولين ، رفض إتهامين وجهها إليه ويتهمانه بالابولنارية Apollinarianism. والمونوفيزيترم Monophysitism، أحدهما وجه إليه من Andrew of Samosata والآخر من Theodoret of Cyurs وعلى ذلك فإن دفاع القديس كيرلس الأول ضد الأساقفة الشرقيين يجيب على إتهامات Andrew الذي كان يمثل الأساقفة السوريين ، والدفاع الثاني (الرسالة إلى Euoptius يرد على إتهامات Oriental Bishops Theodoret. وكلا هذين المقالين Andrew من المرجح أنهما كتباً في النصف الأول لسنة ٤١٣ حيث إنه لا توجد بهما أية إشارة إلى مجمع أفسس . أما المقال الثالث في الدفاع عن الحُرم فقد كتبه القديس كيرلس بينما كان في السجن في أغسطس أو سبتمبر سنة ٤٣١ . ولقد إهتم القديس كيرلس أن يبرهن على صحة كل حرم من الحُرم الاثني عشر بالإستناد إلى الكتاب المقدس .

(د) دفاع موجه إلى الأباطور Apologeticus ad Imperatorem

وجه القديس كيرلس هذا الدفاع إلى الأباطور ثيودوسيوس الثاني مباشرة بعد خروجه من السجن ورجوعه إلى الأسكندرية ، وفيه يبرر مسلكه قبل مجمع أفسس وأثناء إنعقاده .

(هـ) شرح عن تجسد الإبن الوحيد Schola de incarnatione Unigeniti

كتب بعد سنة ٤٣١ ويشرح أولاً ألقاب : المسيح - عمانوئيل ويسوع ، ثم بعد ذلك يتناول الحديث عن الإتحاد الإقومي كمضاد للقول بالإمتزاج والمصاحبة الخارجية فقط . ويشير المؤلف إلى إتحاد النفس والجسد في الإنسان كمثل قوى في العالم المخلوق . ويوجد النص كاملاً في ترجمات قديمة لا تينية وسريانية وارمنية . بينما في النص اليوناني لم يبق إلا جزء صغير .

(و) ضد الذين لا يرغبون في الإعتراف بأن العذراء القديسة والدة الإله

Adversus Nolentes Confiteri Sanctam Virginem esse Dieparam

يشهد الأباطور جوستينيان الأول في عام ٥٤٢ هـ أن هذا الكتاب هو كتاب

أصيل للقديس كيرلس ، وأول من طبعه الكاردينال ماي Mai

(ز) ضد ديودور وثيودور Contra Diodorem et Theodorem

كُتبت هذه المقالات ضد ديودور الطرسوسى وثيودور الموبسويستى (of Mopsuestisa) معلمى نسطور ، وتحتوى على كتب ثلاث . ومن المرجح أنها وضعت حوالى ٤٣٨ . وقد حفظت منها شذرات هامة فى اللغتين اليونانية والسريانية .

(ح) المسيح واحد . Quoad unus sit Christus

هذا حوار يدور حول وحدة الاقنوم فى المسيح ، ويهدف إلى رفض التعاليم الخاطئة التى تزعم أن كلمة الله لم يتجسد ولكنه إتحد فقط بإنسان . وهذا يؤدى الى القول بأن هناك إثنين : إبن الله الطبيعى الحقيقى . وهناك أيضاً الى جواره إبن آخر ، إبن الله بالتبني الذى لا يشارك الإبن الأول فى نفس الوضع . ويشير المؤلف إلى صراعه المبكر ضد الهرطقة النسطورية . ويظهر الحوار نضوجاً فى التفكير والتعبير . ويبدو أن هذا الحوار يمثل واحدة من كتابات القديس كيرلس المتأخرة ضد النسطورية .

رابعاً : الدفاع ضد يوليائيس الجاحد

بعد مرور أكثر من ٢٥ سنة لسيامته ، أرتأى القديس كيرلس أن يكتب دفاعاً مطولاً عن ديانة المسيحيين المقدسة ضد كتابات يوليائيس الجاحد الذى كتب ثلاث كتب بعنوان " ضد الجليليين " فى سنة ٣٦٣ م . ووجهه إلى الامبراطور ثيودوروس الثانى . وتشير المقدمة ألى ان الوثنية لم تمت فى مصر وأن اتهامات يوليائيس ضد المسيحية كانت شائعة ومنتشرة ولم يرد عليها أحد .

ليس أكثر من العشرة كتب الاولى قد حفظت لنا كاملة فى النص اليونانى . وفى الحديث عن العلاقة بين المسيحية واليهودية والوثنية . فإن الكتب العشرة ، ترد فقط على الكتاب الاول ليوليائوس ، والذى فيه حاول الإمبراطور أن يثبت أن المسيحية ليست أكثر من يهودية منخفضة المستوى ومختلطة بمبادئ وثنية . ويبدو أن القديس كيرلس إستعمل منهاجاً شبيهاً بمنهج أوريجينوس فى رده على كلسوس Contra Celsum حيث يتابع خصمه خطوة خطوة ويقتبس دائماً نصوصاً من حججه . والنتيجة أننا نكون إزاء نقد تحليلي بدون أية محاولة تركيبية . وحيث إن دفاع يوليائوس قد فقد ، فإن كتاب القديس كيرلس يبقى المصدر الاساسى ويعتبر إعادة جزئية لدفاع يوليائوس . وأما الفقرات اليونانية والسريانية للكتب من ١١ - ٢٠ من مؤلف القديس كيرلس فيبدو أنها خصصت للرد على

كتاب يوليانوس الثاني . ومن أجل ذلك فإن هناك من يقترح أن الكتب العشرة الاخيرة من الكتب الثلاثين التي تضمنها مؤلف القديس كيرلس ، ترد على كتاب يوليانس الثالث

المتضمن في كتابه " ضد الجليليين " . وعلى كل هذا أمر يظل شكوكا فيه طالما أن هذه الكتب العشرة الأخيرة مفقودة . وليست هناك أية إشارة إلى ان القديس كيرلس كتب اكثر من ٢٠ كتاباً ضد يوليانس ولا اية إشارة الى انه حاول أن يرد على كتابات يوليانس الثلاثين . ونحن نعرف من رسالة نيؤدوريت أسقف كورش أن القديس كيرلس أرسل مؤلفه إلى يوحنا بطريرك أنطاكية . وعلى ذلك فإن تاريخ كتابة مؤلف القديس كيرلس يجب أن تكون قبل عام ٤٤١ وهي السنة التي مات فيها يوحنا ، ومن ناحية أخرى فلا يمكن أن يكون تاريخ هذا المؤلف قبل سنة ٤٣٣ م ، وهي سنة الصلح بين القديس كيرلس والبطريرك يوحنا الأنطاكي .

خامساً: الرسائل الفصحية

واصل القديس كيرلس عادة بطاركة الإسكندرية في إرسال رسالة فصحية في عيد القيامة المجيد ، في صورة رسالة رعوية ، لتحديد يوم عيد القيامة والصوم السابق للعيد . ويبلغ عدد الرسائل الفصحية ٢٩ رسالة كتبت بين سنة ٤١٤ - ٤٤٢ . وتتضمن الرسالة الحث على الصيام والزهد واليقظة الروحية والصلاة والصدقة وأعمال الرحمة . وعلى الرغم مما تتضمنه هذه الرسائل من توجهات رعوية وأخلاقية فهي تعرض أيضاً الكثير من القضايا اللاهوتية المعاصرة التي نارت حولها المناقشات والمنازعات ، مثال ذلك : الرسائل ٥ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٧ ، تدافع عن عقيدة التجسد ضد الهرطقات التي تنكر سرمدية الإبن . الرسالة ١٢ تناقش عقيدة الثالوث وتكشف عن غيرة القديس كيرلس ضد اليهودية والوثنية ، الرسائل ١٢ ، ١٤ يتضمنان تحذيراً للمسيحيين ضد إزدواج الشخصية فينقسم الإنسان بين المسيحية والوثنية ، ويشارك في طقوس كلتا الديانتين .

الرسالتين ٦ ، ٩ ضد الالهة الكاذبة ومواليهم .

الرسائل ١ ، ٤ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ضد اليهود وعدم الأمانة.

سادساً : العظات

لم يتبق لنا أكثر من ٢٢ عظة من عظاته الكثيرة التي ألّفها القديس كيرلس على مدى رئاسته البابوية ، بل وفي بعض الأحيان تكون العظة على شكل شذرات . ولقد جمعت العظات تحت إسم " عظات متنوعة " "Homiliae diversae" للتمييز بينها وبين عظات الفصح Homiliae Paschales ويفترض أن العظات الثمانية الأولى قد أُلقيت سنة ٤٣١ أثناء انعقاد مجمع أفسس . ولدينا عظات ستة كاملة . والعظة الرابعة هي أشهر العظات عن العذراء القديسة مريم ، وقد أُلقيت في الكنيسة القديسة مريم في أفسس بين ٢٣ - ٢٧ يونيو سنة ٤٣١ . والعظة الحادية عشر وعنوانها "Encomium in s. Mariam Deiparam" مديح في القديسة مريم والدة الإله " والتي وردت في مجموعة " ميني " (Mg77,1029-1040) ليست أكثر من هذة العظة الرابعة وقد كتبت بإطنا ب وتوسع بين القرن السابع والتاسع ، كما يرى A.Ehrhard . العظات ٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ تدور حول التجسد . العظة ٨ عن تجلي السيد "Transfigurationem Domini" العظة ١٢ "in occurum Domini"

سابعاً : الرسائل

إن مراسلات القديس كيرلس تعتبر ذات أهمية كبيرة للتاريخ المدني وتاريخ الكنيسة ، للتشريع والتعلم الكنسي ، للعلاقة بين الشرق والغرب للتنافس بين المدارس اللاهوتية والدوائر الأسقفية . وعدد كبير من رسائله لازالت باقية . وتضم مجموعة " ميني " ٨٨ رسالة مرسله إلى القديس كيرلس من آخرين . وقد أضاف E.Schwartz خمس رسائل أخرى أصلها اليوناني اكتشف بعد " ميني " ومن المصادر ذات الدرجة الأولى لتاريخ العقيدة ، الرسائل المرسله إلى نسطور ، ومن بينها على الأخص الرسالة الرابعة المسماة بالرسالة العقيدية "Epistola Dagmatic" وهي عبارة عن الرسالة الثانية المرسله الى نسطور .

وفي الجلسة الأولى لمجمع أفسس التي إنعقدت في ٢٢ يونيو سنة ٤٣١ م إعتمدت الرسالة بمهابة ، وكان التصويت بالإجماع من جميع الأساقفة الحاضرين ، حيث إنما تنفق تماماً مع القانون النيقاوي " Nicene Creed " وتعبر تعبيراً كاملاً عن الكنيسة الجامعة . وكذلك إعتمدت هذه الرسالة من مجمع خلقيدونية المنعقد في عام ٤٥١ م ، ومن مجمع

القسططينية المنعقد في عام ٥٥٣. والرسالة ١٧ هي الرسالة الثالثة الى نسطور التي أرسلها القديس كيرلس باسم مجمع الاسكندرية في نهاية سنة ٤٣٠ م ، وهي تحوى في نهايتها "

الحروم الإثني عشر . وقد اضيفت هذه الرسالة إلى أعمال مجمع أفسس السلولى . واعتمدت هذه الرسالة والحروم الإثني عشر من مجمع أفسس وجمع خلقيدونية . أما الرسالة الثالثة من الرسائل المسماة بالرسائل المسكونية ، فهي الرسالة ٣٩ . وسميت هذه الرسائل الثلاث (٤ ، ١٧ ، ٣٩) بالمسكونية لإعتراف المجمع المسكونية بها ولعلاقتها بالاتحاد بين الكنائس منذ القرن الخامس وحتى الآن . وبالنسبة للرسالة ٣٩ ، فقد أرسلها البابا كيرلس إلى يوحنا الانطاكى سنة ٤٣٣ م بعد إستعادة السلام والوحدة مع كنيسة انطاكية . وتظهر هذه الرسالة فرح القديس كيرلس بتحقيق المصالحة وإستعادة صداقته مع البطريرك يوحنا . كما تحوى الرسالة وثيقة الاتحاد التي أرسلها مجمع أساقفة انطاكية الى البابا كيرلس . وقد وافق البابا كيرلس على هذه الوثيقة كما يظهر في هذه الرسالة . وهذه الرسالة لازالت تشكل أساساً لتحقيق الوحدة الكاملة بين الكنائس الارثوذكسية بعائلتيها الخلقيدونية ، فالعائلتين تقبلان تعليم البابا كيرلس كمصدر للتعليم المستقيم بخصوص شخص المسيح وكيفية التعبير عن سر التجسد الفائت للعقل .

ثامناً : كتابات القديس كيرلس باللغة القبطية

نشر Budge عظة واحدة باللغة القبطية عن والدة الإله . وهناك عظة أخرى نشره Amilneau عن الإحتمال والتسامح . ونشر العالم الألماني Crum مجموعة أسئلة وأجوبة للقديس كيرلس مع الشمس أنثيموس ، وهي ذات أهمية بالغة من الناحية العقائدية (د. جورج حبيب : شرح تجسد الإبن الوحيد للقديس كيرلس عمود الدين ١٩٧٥ ص ٧) .

الباب الثاني

تعاليم القديس كيرلس اللاهوتية

يسند للقديس كيرلس كثير من الألقاب التي تكشف عن تمكنه في الدراسات اللاهوتية .
ويشير " كواستن" إلى بعض الألقاب مثل :

● المدافع الصالح عن الإيمان الجامع (بمعنى الإيمان الأرثوذكسي)

Bonus Fidei Catholicae Defensor

● الرجل الرسولي "Vir Apostolicus"

● الكاهن الممتاز جداً " Probatissimus Sacerdos"

● ختم الآباء " Seal Of The Fathers"

● معلم الكنيسة " Doctor Ecclesiae"

ومن الألقاب الأخرى التي لقب بها القديس كيرلس :

● الكبير - عامود الدين- عمود النار المنير - ابن أنثاسيوس - بولس الجديد - كوكب

الرأى المستقيم - المصباح المنير للكنيسة الأرثوذكسية - معلم الأقوال الإنجيلية المقدسة -

العاضد للإيمان المستقيم - فارس وحارس و رقيب وبطل مجمع أفسس . (جورج باقي :

نفس المرجع ص ١٦٢ ، ١٦٣)

" ولم ينل الأناكيرلس إعجاب الأفراد فحسب بل نال أيضا إعجاب الجماعات : فقد

إتمنتت كنيسة روما وأفريقيا على الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي في المجمع المسكوني

الثالث ، كما أن كنيسة أفريقيا قد طلبت إليه أن يوافقها بالقوانين النيقية الأصلية لأن جميع

الكنائس كانت تعده المدافع الأول عن الإيمان القويم "

(إيريس حبيب المصري : نفس المرجع ص ٤٣٠) .

١- منهجه اللاهوتي

إن القديس كيرلس - فيما يشير كواستن - لم يؤثر على الفكر اللاهوتي من خلال افكاره

فقط ولكن أيضا من خلال منهجه . وهو في الحقيقة الممثل الرئيسي للمنهج العلمي بين

آباء الكنيسة . وهو يستند دائما في براهينه إلى الكتاب المقدس والى تعاليم الآباء . وبلا

شك هو لم يخترع هذا المنهج فقد إستخدمه من سبقوه ، لكن أحداً من السابقين لم

يستعمله بهذه المهارة الفنية الكاملة ، وهكذا أصبحت السلطة في الفكر اللاهوتي تعتمد

على كلا هذين المصدرين : الكتاب المقدس وشهادة الآباء :

فبالنسبة إلى الكتاب المقدس يقول في معرض دفاعه عن لقب والدة الالة " :
فتعالوا بنا الآن ودعونا نبرهن بقدر الإمكان بأية طريقة قد أعلن لنا بواسطة الكتب المقدسة

سر التدبير المدرك في المسيح (رسالة رقم " ١ " أنظر : رسائل القديس كيرلس إلى نسطور - الجزء الثاني - ترجمة دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحي عبد الشهيد - مركز دراسات الآباء ١٩٨٩ ص ٧)

وبالنسبة إلى التقليد الكنسي وتعاليم الآباء ، يقول في رسالته إلى رهبان مصر :
" وقبل كل شيء ، فليكن لكم إيمان صحيح ومخلص بلا لوم على الإطلاق . لأنه هكذا -
أتم أنفسكم - بإقتنائكم آثار تقوى آباءكم القديسين سوف تسكنون معهم في المنازل
العلوية ... وأيضاً لكي تنفعوا الآخرين كإخوة بالأفكار المناسبة وتنعوهم أن يحفظوا
الإيمان (الإلهي) المسلم من فوق بواسطة الرسل الى الكنائس ، كجوهرة ثمينة في نفوسهم
(الرسالة رقم " ١ ") .

ويشير القديس كيرلس إلى أثناسيوس الرسولي ويقول :
" وفي كل الأحوال فإن أينا أثناسيوس صاحب الذكرى المقدسة ، زين كرسى
الأسكندرية على مدى ست وأربعين سنة ، ورتب معرفة رسوليّة وغير مغلوّبة في
المعركة ضد فسفسطات الهرطقة غير المقدسين ، واهج العالم جداً بكتاباتاته كرائحة
عطرة جداً ، والجميع يشهدون لدقة وتقوى تعاليمه " نفس الرسالة ص ٥ ، ٩)
وفي رسالته الثانية إلى نسطور

يبين أن شرح التعليم يتطلب الإلتزام بتعاليم الآباء القديسين وأن علينا أن نشكل أفكارنا
حسناً جداً لتتطابق آرائهم المستقيمة والتي بلا لوم " (رسالة رقم ٤ - نفس المرجع) .
" حينما يكون الأمر متعلقاً بالإيمان ، وكل الكنائس في كل الإمبراطورية الرومانية قد
تعثرت فماذا علينا أن نفعل ؟ لأنه لا يوجد أي أحد من أية مدينة أو إقليم أتى إلا ويقول
ما هذه الإشاعات ؟ وأيضاً ما نوع هذا التعليم الجديد الذي يقتحم الكنائس ؟ فماذا نفعل
في مواجهة هذه الشرور ، نحن الذين قد أوثمنا من الله على تعليم السر ، والذين سيشهد
علينا في يوم الدينونة أولئك الذين يدخلون إلى الأسرار لأنهم سيقولون أنهم حفظوا الإيمان
كما أدخلوا إليه بواسطتنا " (رسائل القديس كيرلس - الجزء الثاني - ترجمة دكتور
موريس تاوضروس والدكتور نصحي عبد الشهيد ١٩٨٩) .

ولذلك قد قيل عن المنهج الذي إستعمله القديس كيرلس في تفسيره للإنجيل بحسب
القديس يوحنا ما يلي :

" كان كيرلس قد قرأ كل ما كتبه الآباء ... ولعل أهم ما قرأه هو تفسير يوحنا لكل من
أوريجينوس رديديموس الضيرير ، فجاء تفسير القديس كيرلس قمة في الدقة والنضوج

والوضوح اللاهوتي والروحي . وهو يفسر الإنجيل بأكثر من طريقة ويقدم التفاسير الشائعة المعروفة في ايامه .. ولذلك جاء هذا التفسير سحلا تاريخيا لكل ما قيل حتى القرن الخامس عن إنجيل يوحنا ، وما شاع في أوساط الكنيسة والمهاطقة من آراء . وقد التزم القديس كيرلس بشرح النص ، وربط بين النص والعقيدة والحياة الروحية بدقة لم يجعله ينسى التأويل الرمزي الشائع في الاسكندرية منذ أيام العلامة أوريجينوس. ولكن القديس كيرلس قيد التأويل الرمزي لنصوص الكتاب المقدس بشرط أساسي وهو أن يكون التأويل متفقا مع العقيدة الأرثوذكسية وناقعا للحياة الروحية . (د. جورج حبيب بياوي : الام المسيح وقيامته في إنجيل القديس يوحنا ، للقديس كيرلس الإسكندري - الكلية الكليريكية ١٩٧٧ - ص ٥) .

على أن أهمية القديس كيرلس في منهجه اللاهوتي ، لا تقتصر على هذه الناحية فقط من الإستناد إلى الكتاب المقدس وإلى تعاليم الآباء ، بل أيضاً إلى الإستناد في فكره اللاهوتي إلى الأدلة العقلية . وبالطبع - فيما يقول كواستن - لم يكن هو أول من إستعمل هذا المنهج من الآباء ، وقد سبقه إلى ذلك الأريوسيون والابوليتاريون . ولعل هذا هو السبب الذي من أجله قد إستعمل القديس كيرلس هذا المنهج في كتاباته ضد الأريوسيين ، وعلى الأخص في كتابه " الكثر في وحدة الثالوث القديس الجوهرية " . ولقد تكرر إستعماله لهذا المنهج في كتاباته الأخرى ضد الأريوسيين ، وظهر أيضاً في تفسيره للإنجيل بحسب القديس يوحنا (كواستن ص ١٣٥ - ١٣٦)

وكتب الاب القمص تادرس يعقوب عن منهج القديس كيرلس اللاهوتي ما يلي :

- (أ) في منهجه إستخدام الشهادات الآبائية مع الكتاب المقدس بطريقة فنية رائعة وكاملة . لقد دعى نفسه " محب التعليم السليم ، السالك على أثر خطوات الآباء التقوية " .
- (ب) إذ إعتاد الأريوسيون على استخدام براهين عقلية ، استخدم ذات وسيلتهم للرد عليهم .

(ج) يقول ويكهام " يمكننا أن نقول بأن ثقافة كيرلس جعلته ذا تأثير عميق ، فكان لاهوتياً متفقا مع معرفة مهوية للكتاب المقدس ، يستطيع أن يناضل بفيض في مناقشات التثليث العويصة . هذه الثقافة لم تعطه حب استطلاع عقلائي ... حقا أعطته معتقدات راسخة كاهرم ، فلا يغير كثيراً في طريقة تعبيراته عبر السنوات . وكيرلس مدين بالقليل وبطريقة مباشرة للثقافة العلمانية . من من الكتاب المسيحيين كان له تأثيره الأعظم عليه ؟ من الواضح أنه مدين لأناسيوس ، حتى إن عمله المبكر " كثر في الثالوث القديس المتحد جوهرياً" في خطوطه الرئيسية مأخوذ من مقالات أناسيوس ضد الأريوسية (الاب القمص تادرس يعقوب : الكنيسة القبطية كنيسة علم ولاهوت ص (١٠٩ ، ١١٠)

ويشير الأستاذ جورج باقى في كتابه المشار إليه سابقاً ، إلى أقوال بعض الباحثين عن منهج القديس كيرلس اللاهوتي ، ونذكر من هذه الأقوال :

١- قول Hamman

يعتبر أول من بدأ في جمع المتخبات من كتابات الآباء . وباعتبار البابا عامود الدين رجس العمل والنشاط ورجل اللاهوت أيضاً ، فقد كان يربط باستمرار بين العقيدة والنص الإنجيلي والحياة الروحية الخاصة بخلصنا نحن البشر ، في دراسات تفوق الوصف في الدقة والأمانة والنضوج اللاهوتي والروحي ، مع التمسك بالتعليم الأرثوذكسي ، بحيث أنه قيد التأويل الرمزي الشائع بنصوص الكتاب المقدس بشرط أساسي أن يكون متفقاً مع التعليم والعقيدة الأرثوذكسية ونافعاً للحياة الروحية " .

١- قول Mahy

٢- يرى العالم Mahy في كتاب - التقديس بحسب تعليم كيرلس - إن عامود الدين يقدم عرضاً جديداً لهذا الميراث التعبدى ... فهو يعيد صياغته بطريقة الخاصة تاركاً بصمات طابعه الشخصي عليها .. فقد قارن هذه الحقائق ، ولحمها معاً في مجموعة معطيات تكون نظاماً واحداً متجانساً ، بينما كانت قبله متناثرة تماماً وربطها جميعها مع عقيدة التثليث ومع التعليل اللاهوتي لشخص السيد المسيح ، أفضل مما فعل كل من جاء قبله . وفي نفس الوقت أوحى له تقواه وغرفته المتهبة أن يعبر عن إيمانه بوضع صيغ للإيمان ، لا يساويها في الجرأة أو الحق أية كتابات أخرى سابقة على كتاباته ، في إنجاز يدل على ما كان لدى القديس كيرلس من العقل المتفتح الذي يستوضح الأمور وينقب ويدقق ممحصاً كل شيء قبل النطق به " (جورج باقى : المرجع السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥) .

٢- نماذج من الموضوعات اللاهوتية التي عالجها

وتناول الآن - بمشيئة الله - في دراساته اللاهوتية نماذجاً من الموضوعات التي عالجها ، مستندين بصورة كاملة إلى نصوصه . وكأمثلة لهذه الدراسات ، نشر إلى تعاليمه التي تختص بالموضوعات التالية

- ١- الثالوث القدوس .
- ٢- التجسد (الإحلاء - الطبيعة الواحدة) .
- ٣- القديسة العذراء والدة الإله .
- ٤- الخلاص
- ٥- الإنسان .
- ٦- إمتيازات العهد الجديد .
- ٧- سر الإنخارستيا ؟

الموضوع الأول

الثالث وث القلدوس

الايان ياله واحد - الآب

في شرحه لقانون الايمان النيقاوي يفسر القديس كيرلس عبارة " تؤمن ياله واحد " على النحو التالي^١:

قال الاباء انهم يؤمنون باله واحد ، لأنهم كما لو كانوا يهدمون اراء اليونانيين من اساساتها " وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى يشبه صورة الانسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات " روا : ٢٢ ، ٢٣ ، " وعبدوا المخلوق دون الخالق " (روا : ٢٥) وصاروا عبيدا لأركان العالم طائنين أنما الهة كثيرة بلا عدد . لذلك فلكى يهدموا ضلالة تعدد الالهة ، قال الاباء ياله واحد تابعين الكتب المقدسة من كل جهة ومظهرين جمال الحق لكل إنسان يسمى تحت الشمس ، وهذا ما فعله موسى الحكيم جداً قائلاً بكل وضوح " إسمع يا اسرائيل الرب إلهك رب واحد " (تث ٦ : ٤) ، وأيضاً خالق الكل ورهم يقول في موضع آخر " لا يكون لك الهة أخرى أمامي " (خر ٢٠ : ٣) وأيضاً تكلم بصوت الانبياء القديسين " أش ٤٤ : ٦ . لذلك فالاباء المحدون جداً فعلوا أمراً ممتازاً إذ وضعوا قاعدة للإيمان بضرورة أن نفكر ونقول إن الله واحد متفرد بالطبيعة والحق ، ومن ثم أعلنوا أنهم يؤمنون ياله واحد .

وأيضاً لقبوه بالآب ضابط الكل ، لكي بذكرهم الآب يظهر أن الابن معه الذي به هو اب ، قائم (أى الابن) معه وكائن معه دائماً ، لأن الآب لم يصر اباً في زمن ، بل كان دائماً ما كان ، أى اباً . وهو كائن دائماً فوق كل ماهو مخلوق وهو في أعلا الأعالى . ولأنه يضبط ويسود رباً على الكل ، بهذا يجعل له مجداً لا يقارن . وأيضاً يؤكد الآباء أنه خلق كل الأشياء التي في السموات والتي على الأرض ، وهكذا يكون إختلافه عن كل الخليفة أمراً معروفاً . لأنه لا يمكننا المقارنة بين الخالق والمخلوق ، ولا بين غير الحادث والحادث ، ولا بين الطبيعة الخاضعة لئير العبودية والطبيعة المزدانة بكرامات السيادة والمالكة لمجد إلهي فوق المجد العالمي .

١- ترجمة : دكتور موريس تلوذروس ودكتور نصحي عبد الشهيد

وفي شرحه لعلاقة الإبن بالآب ، في قانون الإيمان ، يقول القديس كيرلس :
ولكن عندماتكلموا (أى الآباء) عن الإبن ، ولكى لا يظهر أنهم لا ينسبون إليه إسمًا

مشتركا مثل الإسم الذي يمكن أن ينسب إلينا نحن أنفسنا ، لأننا ندعى أيضا اولاد (علا
٤ : ٦) فبكل فطنة وصفوه بتلك الأسماء التي بواسطتها يمكن أن يدرك لمعان المجد
الطبيعى الذى فيه ، والذى هو أعلا من الخلقى ، لأنهم قالوا إنه " مولود غير مخلوق " .
مدركين أنه من جهة الجوهر لا يصنف مع المخلوقات ، بل بالحرى أكدوا بيقين أنه مولود
من جوهر الله الاب ، خلواً من زمن وبطريقة تفوق الإدراك لأنه " في البدء كان الكلمة " .
(يو ١ : ١) ثم حينما يذكرون حقيقة الولادة بطريقة جيدة جداً (ولنشرح هذه الحقيقة
على مستوى إنساني لأجل المنفعة) فإنهم يقولون إن الله الإبن مولود من الله . لأنه حيثما
تكون ولادة حقيقية فيلزم من كل جهة تبعاً لذلك أن تفكر وأن تقول إن المولود ليس من
جوهر اخر غير جوهر الوالد ، بل هو من نفس جوهر الذي ولده لأنه يناسب ويلائم
منطقياً كونه من هذا الجوهر . فغير الجسداني لا يلد بحسب الجسد بل بالحرى بهذه الطريقة
أعنى مثل (ولادة) النور من النور ، حتى أن النور الذى شع يعرف أنه في النور الذى
أومض وأنه منه بحسب الصدور الذى لا ينطق به ولا يعبر عنه وان يكون فيه بحسب
وحدة وتطابق الطبيعة . وهكذا نحن نقول : إن الإبن فى الآب والاب فى الإبن . فالابن
يرسم فى طبيعته الخاصة ومجده ، ذلك الذى ولده . وقد قال بوضوح لواحد من تلاميذه
القديسين " من رآنى فقد رأى الاب " (يو ١٤ : ٩ - ١٠) وقال أيضاً " أنا والآب
واحد " (يو ١ : ٣٠) وتبعاً لذلك فهو من نفس الجوهر مع الاب . وهكذا ايضا فإننا
نؤمن أنه إله حق من إله حق . وهكذا فإن كل أحد يستعمل إسم الولادة والبنوة عنه فإنه
لا يتكلم بالكذب مطلقاً ... وتفهم الولادة على أنها منه وفيه وأن كلا منهما موجود
بأقنومه الخاص لأن الاب هو اب وليس إبناً والإبن هو المولود وليس هو اب وكل منهما
يكون ما كان عليه ولهما فى وحدتهما نفس الطبيعة .

وفي شرحه لعلاقة الروح القدس بالإبن والآب فى قانون الإيمان ، يقول :
وبعد أن أمى الآباء المثلثو الغبطة كلامهم عن المسيح ، فإنهم ذكروا الروح القدس ، لأنهم
قالوا إنهم يؤمنون به كما يؤمنون - بدهاة - بالاب والإبن ، لأنه من نفس الجوهر معهما
، وهو ينسكب أى ينبثق من ينبوع الله الاب ويمنح للخليقة بواسطة الإبن . لهذا نفخ في
الرسل القديسين قائلاً " أقبولوا الروح القدس " (يو ٢ : ٢٢) ، ولذلك فالله الروح هو من

لله وليس غريبا عن الجوهر الذي هو أعلا من الكل ، بل هو من ذلك الجوهر وهو كائن فيه وهو خاص به .

على أن القديس كيرلس تحدث بإفاضة عن الثالوث القدوس ، وعن الإبن بالذات في دفاعة ضد الأريوسية والنسطورية ونستكمل حديثنا من خلال النقاط التالية :

١- التأكيد على التمييز بين الأقانيم .

٢- الابن ، ألوهيته وعلاقته بالاب .

٣- المسيح وعلاقته بالروح القدس

٤- ألوهية الروح القدس .

١- التأكيد على التمييز بين الأقانيم .

يقول القديس كيرلس في شرحه للإنجيل حسب القديس يوحنا ما ملخصه ¹ :

لقد كتب الرسول يوحنا أن الكلمة كان في البدء أى " في الله الاب " ولكن لأن عين ذهنه قد إستارت ، لم يجهل أن البعض سوف يقومون بجهل شديد ليدعوا أن الاب والإبن واحد ، وأنهما غير متميزين إلا في الأسماء فقط ، وأنه ليس في الثالوث أقانيم . وتمايز الأقانيم يعنى أن الاب هو فعلا أب وليس إبننا وكذلك الإبن هو إبن وليس ابا . ويقول الرسول يوحنا " الكلمة كان عند الله ، أكد انه متميز وأقنوم آخر غير أقنوم الآب الذي معه الكلمة .

والذين ينكرون الأقانيم لا يدركون أن الواحد الذي بلا أقانيم لا يمكن أن نقول أنه " معه " أو " كان معه " فهو وحده بذاته . ومع أن الإبن في الآب والآب في الإبن إلا أن هذا لا يعنى أن الإبن فقد أقنومه المتميز ، ولا أن الآب فقد أقنومه الخاص به . فالتماثل التام بين الأقانيم لا يعنى إختلاط الأقانيم ، حتى أن الآب الذي منه يولد الإبن يصبح بعد ذلك إبننا ، ولكن الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها هى للاقنومين مع تمايز كل منهما ، حتى أن الاب هو الآب ، والإبن هو الإبن ، وأيضا الروح القدس يحسب معها مثل الآب والإبن . وهذا هو كمال الثالوث المعبود .

لو كان الإبن ابا أيضا فما هو معنى تمايز الأسماء ؟ لو كان الاب لم يلد أحداً من ذاته فلماذا يدعى الآب؟ ولماذا يدعى بهذا الإسم لو كان غير مولود من الآب ؟ إن تمايز الأسماء يعنى تمايز الأقانيم ، فالابن له أقنوم متميز كما أن الآب له أقنوم متميز مثل تمايز الوالد عن المولود .

١- شرح لنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري : ترجمه عن الانجليزية (د . جورج بيلوى وراجمه دكتور دكتور نصحي عبد الشهيد - مركز دراسات الأباء ١٩٨٩ .

لا ينبغي أن يشك أحد بالمرّة ، ويظن أن الابن أقل من الأب لأنه هو يبين أنه صورة الأب غير المشوهة ، حافظاً في ذاته رسم الأب كاملاً وصحيحاً . ونحن نقول أن الأب والابن هما واحد غير مازجين فرديتهما بإستعمال العدد واحد، كما يفعل بعض الذين يقولون إن الأب والابن هما نفس الشخص بل نؤمن أن الأب هو قائم بذاته والابن قائم بذاته موحدين الاثنين في نفس الجوهر ، وعارفين أيضاً أن لهما قدرة واحدة ، حتى إن هذه القدرة ترى بدون إختلاف في الواحد كما في الآخر. وبكلمة واحد يشير الى وحدة الجوهر ، وبكلمة نحن ويشير الى اثنين ثم بعد ذلك يوحدهما معا في لاهوت واحد (انظر : شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الاسكندري : الأصحاحان التاسع والعاشر - ترجمة دكتور موريس ناوروس - ودكتور نصحي عبد الشهيد ٢٠٠٣ ص ١٥١)
ويعضى القديس كيرلس الى القول :

الرب يقول " أعمالا كثيرة حسنة اريتكم من عند ابي " يو ١٠ : ٣١ ويعلق القديس كيرلس على ذلك فيقول : الرب يشير الى أن الأعمال التي أراها لهم هي من الأب ، لا ليين ان القوة التي ظهرت في هذه الأعمال هي قوة اخرى غير قوته بل لكي يظهر أنها كانت اعمالا لاهوتية ، ندرکہا على أنها واحدة في الأب والابن والروح القدس : فكل ما يفعله الأب فهذا يتمه بالابن في الروح وأيضا ما يعمله الابن فهذا يعمله الأب في الروح لهذا ايضا يقول المسيح " لا أعمل من نفسي شيئا بل الأب الخال في هو يعمل الأعمال " ويشير إلى أن (الأعمال الإلهية تظهر إنني مساو لله الأب رغم انه من جهة الجسد أبدو انني واحد بينكم مثل انسان عادي . وهكذا فمن الممكن أن تدركوا أني (في الأب والآب في .. لأن وحدة الجوهر تجعل الأب يرى في الابن والابن يرى في الأب وحتى في حالتنا البشرية ، فإن جوهر الوالد يعرف في المولود منه ، وأيضا جوهر الطفل يعرف في والده لأن نوع الطبيعة واحد في الجميع وجميعهم واحد في الطبيعة. ولكن حينما نميز أنفسنا الواحد عن الآخر عن طريق اجسادنا فالكثيرون لا يكونون واحداً ومثل هذا التمييز بين الاجساد لا يمكن الحديث عنه فيما يخص ذلك الذي هو إله بالطبيعة لأن ما هو إلهي لا جسد له ، رغم اننا ندرک الثالث القدوس على انه قائم في اقايم متميزة. لأن الأب هو الأب ، والروح القدس هو الروح (وليس هو الأب او الابن) ومع ذلك فلا يوجد بينهم اى اختلاف ، بل هم في شركة ووحدة الواحد مع الآخر. وبما انه ليس هناك سوى ألوهية واحدة في الاب والابن والروح القدس، لذلك نقول إن الأب يرى في الابن، والابن يرى في الأب ومن الضروري أن نعرف هذه النقطة الاخرى أيضا . إن ما يجعل الابن يقول "

أنا في الآب والآب في " يو ١٤ : ١٠ وايضا " أنا والآب معا واحد " يو ١٠ : ٣٠ ليس فقط لأن الابن يرغب نفس الأمور كالأب وليس فقط لأنه يملك إرادة واحدة معه بل ما

يجعله هكذا هو انه المولود الاصيل لجوهر الاب . فهو يظهر الآب في نفسه وهو

في الآب ، فهو يقول إنه يريد ويتكلم ، ويملك نفس فاعلية الآب وبسهولة ينجز ما يريد مثلما يفعل الآب وهكذا يعترف به من كل ناحية أنه من نفس الجوهر مع الآب ، وهو ثمرة حقيقية لجوهره . ووحدته مع الآب ليست مجرد وحدة نسبية معه تظهر في تماثل الإرادة والتزامات المحبة ، تلك الوحدة النسبية التي تقول إنها تخص مخلوقاته .^١

(المرجع السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩)

٢-الإبن ، ألوهيته وعلاقتة بالآب :

يشرح القديس كيرلس عبارة " في البدء كان الكلمة" فيقول :

+ لا يوجد ما سبق البدء إذا ظل بالحق بدءاً ، لأن بدء البدء مستحيل . وإذا تصورنا أن شيئاً ما سبق البدء تغير البدء ولم يعد بدءاً بالمرّة . إن هذا يعني أن الإبن لم يخلق بالمرّة بل هو كائن مع الآب " كان في البدء " . ليس من الممكن أن نعتبر " البدء " خاصاً بزمان مهما كان . فالبدء الذي يمكن قياسه بالزمان والمسافات سوف يتعداه الإبن . بالنسبة للإبن البدء ليس بدءاً زمنياً ولا جغرافياً ، فهو أزلي وأقدم من كل الدهور ، ولم يولد من الآب في الزمان لأنه " كان " مع الآب . مثل الماء في الينبوع ، أو كما هو قال " خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم " يو ١٦ : ٢٨ . فإذا اعتبرنا الآب المصدر أو الينبوع ، فإن الكلمة كان فيه لأنه حكمته وقوته ورسم (صورة) أقدومه وشعاع مجده . وإذا لم يكن وقت كان الآب فيه بلا حكمة وكلمة وصورة وشعاع ، فإنه من الواضح أن الإبن الذي هو حكمة وكلمة وصورة الآب وشعاع مجده ، فهو أزلي مثل الآب الأزلي ، وإلا كيف يوصف بأنه صورته الكاملة ومثاله التام ، إلا إذا كان له بوضوح ذات الجمال الذي هو على صورته .

الإبن في الآب مثل الماء في الينبوع ، أو أن الآب هو الينبوع . إن كلمة ينبوع تعني هنا المعية ، لأن الإبن في الآب وهو من الآب ، ليس كمن يأتي من الخارج في الزمان ، بل هو من ذات جوهر الآب . يشع مثل الشعاع من الشمس أو صدور الحرارة من النار . هذه الامثلة تعني أن نرى كيف يولد أو يصدر شيء من شيء ، وفي نفس الوقت لا يصدر متأخراً أو بعد زمن ، أو أن تكون له طبيعة مختلفة بل يصدر الشيء من الشيء ويظل كائنا معه لا

ينفصل عنه ، بل لا يمكن لأى منهما أن يوجد بدون الآخر ، فلا شمس بلا شعاع ولا شعاع بدون شمس ولا نار بلا حرارة ولا حرارة إلا من نار .

+ إذا كان الإبن هو " حكمة وقوة الآب " فإذا كان الإبن أقل من الآب ، تكون حكمة الله ناقصة ، " وقوة " الله ناقصة فيصبح الآب نفسة غير كامل ، وهذا كفر .

إذا كان الابن هو الملاء " لأن من ملئة نحن جميعا أخذنا " فكيف يكون الابن هو الملاء ، وفي نفس الوقت أقل من الآب .

ويقدم القديس كيرلس إثنين وعشرين برهانا لتأكيد ألوهية الإبن ومساواته لسلاب في الجوهر .

المسيح وعلاقته بالروح القدس

يقول القديس كيرلس : بسبب وحدة الجوهر ، فالروح موجود في الإبن كما هو في الآب أيضا . ويشير إلى قول القديس لوقا " فلما أتوا الى ميسيا حاولوا أن يذهبوا الى بيتينية ، فلم يدعهم روح يسوع (أع ١٦ : ٧) (كما في الترجمة السريانية القديمة وفي أقدم المخطوطات) .

وفيما يختص بالعلاقة بين السيد المسيح والروح القدس ، يقول :

إذا كان أحد لم يستحسن ما قلناه ، ويعترض على الشرح الذى قدمناه ، وبغيرة عمياء يدعى أن الابن ينال الروح القدس بالمشاركة أو أنه لم يكن فيه من قبل ، ثم حل الروح فيه عندما إعتد وأثناء فترة التجسد ، فعليه أن يرى إلى أية درجة من عدم الإدراك سوف يسقط ، لأنه أولا يقول المخلص : ليس بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا (مت ١١ : ١١) وهذا حق ولكننا نرى أن الذى وصل إلى هذه المكانة والمجد والفضيلة كإنسان ، يكرم المسيح بكرامة لا يمكن مقارنتها ، فهو يقول : " أنا لست مستحقا أن أتحنى وأحل سيور حذائه " مر ١ : ٧ . فكيف لا يبدو غير معقول ، بل بالحقيقة كفر أن نؤمن أن يوحنا " امتلأ من الروح القدس من بطن أمه " لو ١ : ١٥ ، ونعتقد أن سيده ، بل سيد ورب الكل قبل الروح القدس عندما اعتمد ، مع أن جبرائيل يقول للسيدة العذراء " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلللك ، لذلك القدوس منك يدعى ابن الله " (لو ١ : ٣٥) . وعلى محب المعرفة أن يرى قوة الكلمات التى تتمخض بالحق ، لأنه يقول عن يوحنا " يمتلئ من الروح القدس (لأن الروح القدس صار فيه كعطية وليس كالجوهر) أما عن المخلص فالملاك لا يقول " سوف يمتلئ " بالمعنى الدقيق للكلمة بل " القدوس المولود منك " ولم يقل " المولود منك سوف يصير قدوسا فهو دائما قدوس بالطبيعة لأنه الإله .

ويعضى القديس كيرلس فيشرح علاقة الإبن بالروح القدس بعد التجسد فيقول :
قال الملاك : " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك ، لذلك القدوس منك يدعى

إبن الله " . ويتساءل القديس كيرلس : هل كان قبل التجسد هو إبن الله أم كان له مجد
البنوة بالإسم فقط ، وهل دعى زورا الإبن أم هو بالحقيقة كذلك ؟ فإذا قالوا أنه لم يكن
الإبن بالمرّة فبذلك ينكرون الآب كمن لا ابن له ، وإذا اعترفوا بأنه الابن قبل التجسد وأنه
كان وسيظل الابن فكيف يقول الملاك في البشارة للعذراء القديسة أن الذي سيولد منها
سيدعى ابن الله ؟ ويجب القديس كيرلس على ذلك فيقول : لأنه (أى الكلمة) بالطبيعة
إبن الله ، لأنه كذلك منذ الازل مع الآب . ولكن عند التجسد ولأنه سوف يظهر للعالم
بالجسد ، يؤكد الملاك أنه سيدعى إبن الله ، أى لن يفقد طبيعته الالهية .

وكذلك أيضا فالابن له الروح حسب وحدة الجوهر ، ولكنه قيل أنه سيقبله كأنسان
لكى يحفظ للانسانية الصلاح الذى نحتاجه ، ومع هذه العطية يحفظ لنا كل ما يمكن أن
نأخذه . ويتساءل أيضا القديس كيرلس : كيف يمكن أن نعتقد أن الكلمة يمكن أن يكون
منفصلا عن روحه ؟ ألا يكون غير معقول أن نقول أن روح الانسان ليست فيه . وحسب
تعريف طبيعة الانسان الكاملة والحية ، هل يمكن أن نتكلم عن انسان بلا روح ، وهكذا
كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن الابن الذى هو معه ومتحد به في الجوهر الواحد
وهو موجود فيه بالطبيعة ولا يمكن أن يكون مختلفا عنه لأنه أقنوم مثله له ذات الطبيعة
الالهية التى للابن . وعلينا أن نسمع ما يقوله المخلص لتلاميذه " أن كنتم تحبوننى فاحفظوا
وصاياى ، وأنا اطلب من الآب وهو سيعطيكم معزيا اخر روح الحق الذى لا يستطيع
العالم ان يقبله " (يو ١٤ : ١٥ - ١٧) . وها هو يقول عن الروح القدس " روح الحق "
والابن وحده وليس اخر غيره هو الحق لأنه يقول " انا هو الحق " (يو ١٤ : ٦) . وإذا
كان الابن بالطبيعة يدعى الحق ، فعلىنا أن نرى كم هى عظيمة الوحدة التى بينه وبين
الروح القدس . وهى التى جعلت يوحنا الرسول يقول عن مخلصنا " هذا الذى جاء بالماء
والدم والروح ، يسوع المسيح ، ليس بالماء فقط وإنما بالماء والدم ، والروح هو الذى
يشهد لان الروح هو الحق " (١ يو ٥ : ٦) ولذلك السبب نفسه إذ يحل الروح القدس في
انساننا الداخلى (اف ٣ : ١٦) يقال أن المسيح نفسه هو الذى يحل فينا (أف ٣ : ١٧)
. وحقا يعلمنا بولس المبارك ذلك قائلا " ولكنكم لستم في الجسد ولكن في الروح ، وان
كان روح الله ساكننا فيكم " والان إذا كان إنسان ليس له روح المسيح فهو ليس للمسيح
، وان كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحية بسبب البر (رو ٨ :

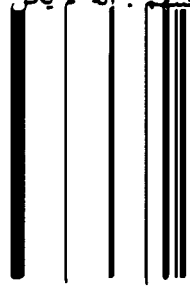
٩-١٠) لأن الرسول يسمى الروح الساكن فينا روح المسيح ، ولذلك فوراً يضيف " وإن كان المسيح فيكم " مقدماً بذلك المساواة التامة بين الابن والروح وكما يقول يوحنا المبارك " بهذا نعرف أنه ساكن فينا لأنه اعطانا من روحه " (١ يو ٤ : ١٣) . فإذا افترض أحد أن الابن قبل الروح القدس عندما تأنس، فعليه أن يعلن رأيه بصراحة ويقول ان كلمة الله لم يكن قدوساً قبل تجسده .

ويعضى القديس كيرلس في حديثه عن معمودية المسيح فيشير إلى أن يوحنا المعمدان لم ير الروح القدس كما هو في طبيعته بل في شكل حمامة وفي ظلال وداعة الطائر . ويعلق على ذلك فيقول : بذلك حفظ لنا الانجيلي المساواة أيضاً بين أقتوم الابن واقنوم الروح القدس ، فالابن يقول عن نفسه " تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب (متى ١١ : ٢٩) . فالروح لم يظهر مطلقاً لأنه الله واحتفظ بطبيعته الالهية غير الظاهرة ، وظهر فقط في شكل حمامة بسبب الاعلان الذي قدم ليوحنا المعمدان الذي قال أن نزول الروح وهب له كعلامة ، لكي يشهد للمخلص . أما الهراطقة فقد أخذوا العلامة على غير معناها ، مع أنها أعطيت كعلامة فقط ولأجل اعلان تدبير ، وكما قلت " والكلام للقديس كيرلس " وبسبب حاجة الجنس البشري (ص ١٧٠ - ١٧٣) .

وفي تفسيره للإنجيل بحسب القديس لوقا ، يقول القديس كيرلس :

كيف يستطيع ذاك الذي نال الروح - إن كان هو حسب قولكم إنساناً منفصلاً ومستقلاً بنفسه - كيف يستطيع ان يعتمد بالروح القدس ؟ إنه من المستحيل أن يؤمن بأن القدرة على تعميدهم الناس بالروح القدس هي من عمل مجرد إنسان لا يزيد عنا في اى شئ . لقد قال الرسول بولس " الذى إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ، لكنه أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس ووضع نفسه الى الفقر . فاجثوا اذن ، من هو ذاك الذى كان أولاً في صورة الله الأب وهو في الحقيقة مساو له ، ولكنه أخذ صورة عبد وحيث صار إنساناً ، وإلى جانب ذلك جعل نفسه فقيراً . هل هو الذى من نسل داود كما يجادلون الذى يعتبرونه منفصلاً بنفسه كإبن اخر عن كلمه الله الأب ؟ إن كان كذلك فدعهم يبينون متى كان مساوياً للأب ؟ دعهم يبينون كيف اتخذ صورة العبد ؟ أو ماذا نقول عن ماهية صورة العبدتلك ؟ وكيف أحلّى نفسه . فهل يوجد ما هو أفقر من الطبيعة البشرية ؟ لذلك فالذى هو صورة الله الأب وشبهه والتعبير الواضح عن شخصه ، والذى يشع بماء في مساواة معه ، والذى بالطبيعة هو حر ، هذا هو نفسه الذى اتخذ صورة عبد ، أى صار إنساناً ، وجعل نفسه فقيراً ، إذ رضى أن يحتمل هذه الأمور

البشرية ما عدا الخطية. ولكن المراهقة يعترضون قائلين : كيف اعتمد ونال الروح أيضاً ؟
فنجيبهم : انه لم يكن محتاجاً للمعمودية المقدسة إذ هو كلى التقاوة وبلا عيب وقلوس من



قدوس . كما أنه لم يكن محتاجاً للروح القدس ، لأن الروح المنبثق من الآب وهو معه
ومساوله في الجوهر ، ولذلك يجب أن نستمع الآن إلى شرح التدبير اى خطه الله : إن الله
في محبته للإنسان زودنا بطريق الخلاص والحياة . لأننا بالإيمان بالآب والإبن والروح القدس
وباعترافنا بهذا الإقرار أمام شهود كثيرين ، فإننا نغسل كل وسخ الخطية ونغتني بالحصول
على الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية ، وننال نعمة التبنى . لقد كان ضروريا
إذن أن كلمة الآب حينما وضع نفسه إلى الاخلاء وتنازل ليتخذ شكلنا كان ضرورياً أن
يصير من أجلنا نموذجاً وطريقاً لكل عمل صالح . فالذى هو الأول في كل شئ ينبغي أيضاً
أن يضع نفسه مثلاً في هذا . لذلك فلكى نعرف قوة المعمودية المقدسة نفسها والنعمة
العظيمة التى نحصل عليها بالإقبال إليها ، فإنه يبدأ هذا العمل (المعمودية) بنفسه ،
وحينما إعتد صلي لكى تتعلموا أنتم يا أحبائى أن الصلاة بلا إنقطاع هى أمر يناسب
جداً لأولئك الذين حسبوا أهلاً للمعمودية المقدسة

في الرسالة رقم ١٧ كتب القديس كيرلس :

ولكن حينما يقول عن الروح " ذلك سيمجدنى " فنحن بصواب لا نفهم أن المسيح الواحد
والإبن . بسبب أنه في إحتياج إلى مجد من اخر ، إكتسب مجداً من الروح القدس ، وذلك
لأن روحه ليس منه ولا هو فوقه . وهو يقول إنه تمجد منه ، مثلما يقول أى واحد منا عن
أية قوة في داخله أو عن فهمه لموضوع معين " إنما سوف تمجدنى " . لأنه حتى إن كان
الروح يوجد في أفتومه الخاص ويعرف بذاته حيث أنه هو الروح وليس الإبن ، إلا أنه مع
ذلك ليس غريباً عن الإبن ، لأنه يدعى روح الحق والمسيح هو روح الحق والروح ينسكب
منه ، كما بلا شك من الله الآب أيضاً . لذلك فإن الروح صنع عجائب بأيدي الرسل
القديسين بعد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء وبذلك مجده ، لأننا نؤمن أنه الله
حسب الطبيعة ، وأيضاً أنه نفسه يعمل بروحه الخاص . ولهذا السبب قال أيضاً " لأنه
يأخذ مما لى ويخبركم " (يو ١٦ : ١٤) . ونحن لا نقول مطلقاً أن الروح حكيم وقوى
نتيجة المشاركة ، لأنه كلى الكمال ولا ينقصه أى صلاح ولكن حيث أنه روح قوة الآب
وحكمته أى روح الله الإبن فهو بالحقيقة الحكمة والقوة

١- تفسير إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلس الاسكندرية - الجزء الأول - ترجمة دكتور نصعى عبد الشهيد ١٩٩٠ ص ٧٤ -
٧٦ ، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي - ترجمة دكتور موريس تلوذروس ودكتور نصعى عبد الشهيد -
مركز دراسات الآباء ١٩٨٨ ص ٣٢ - ٣٤ .

ويشير القديس كيرلس الإسكندري إلى ما أورده القديس لوقا في إنجيله عن مسح المسيح بالروح القدس "روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المسكين ، أرسلني لأشفي منكسرى القلوب .. ، لو ١٨ - ٢١ ويعلق على ذلك فيقول :

إنه (أى المسيح) هذه الكلمات بين بوضوح أنه أخذ على نفسه الإنسحاق والخضوع للإخلاء من مجده . وقد اتخذ إسم " المسيا " وحقيقته من أجلنا . لأنه (أى المسيح) يقول إن الروح الذى هو بالطبيعة موجود فى ، وأنا وهو من نفس الجوهر والألوهية ، هذا الروح نفسه نزل على أيضاً من الخارج . وهكذا فإنه أتى على أيضاً فى الأردن على شكل حمامة ، ليس لأنه لم يكن موجوداً فى ، ولكن لأجل السبب الذى من أجله مسحني . وماهو السبب الذى من أجله اختار المسيح أن يمسح ؟ السبب هو أننا نحن صرنا مقفرين من الروح بذلك الحكم القديم " لا يسكن روحى فى الإنسان ، لأنه بشر " تك ٦ : ٣ . هذه الكلمات يقوها كلمة الله المتجسد . فلكونه الإله الذى من الله الآب ، ولأنه صار إنساناً لأجلنا دون أن يلحقه تغيير ، فإنه يمسح معنا بزيت الإبتهاج ، إذ نزل عليه الروح فى الأردن على شكل حمامة . لأنه قديماً كان الملوك والكهنة يمسحون رمزياً ، وبهذا يحصلون على درجة معينة من التقديس . أما هذا الذى تجسد من أجلنا ، فقد مسح بالزيت الروحاني زيت التقديس ، ونزل عليه الروح القدس بالحق ، وهو قبل الروح لا لأجل نفسه ، بل لأجلنا ، لأنه كما أن الروح غادرتنا ولم يسكن فينا لكوننا جسداً ، لذلك إمتلأت الأرض من الحزن لأنها قد حرمت من المشاركة فى الله .^١

وفى شرحه للآية " لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح " يقول القديس كيرلس :
إنتبه الان يا صديقى الصالح انتباها خاصاً قوياً ، إنه يقول إنه من المستحيل أن الذين قبلوا " الروح بكيل " يمكنهم أن يعطوه لغيرهم ، لأنه لم يحدث قط أن قديساً قد أعطى الروح القدس لقديس آخر ، لكن الإبن يعطى الروح لكل من ملته الخاص . إذن فهو " لا يعطى الروح بكيل " وأيضاً هو ، ليس له نصيب قليل من الروح القدس كما يقولون هم وأن هذا النصيب يأخذه بالمشاركة . إذ هو معطى الروح أيضاً ، فظاهر كما أعتقد أنه له الروح بالكامل جوهرياً فى ذاته . إذن فالذى يفوقهم بهذا المقدار العظيم لا ينطق بأمر الله

كواحد منهم بل إذ هو إله من إله - يفيض بكلمات إلهية . وليس هنا من تداخل مع ماهو مكتوب أنه بوضع ايدى الرسل يعطى الروح للبعض (أع ٨ : ١٨) لأننا نؤمن أنهم (أى الرسل) هم مستدعو الروح القدس وليسوا فى الواقع واهى الروح . وحيث إن المبارك

موسى أيضاً لم يكن قد فرض عليه لكي يأخذ من الروح الذى كان عليه ، بل حفظ الله
أضاً سلطاناً له .^١ قائلاً لأن موسى يجب أن يجمع السبعين وقد وعده الله أن

يأخذ من الروح الذى كان عليه (على موسى) ويضعه عليهم (قابل عد ١١ : ١٧)
لأنه عرف أنه يليق بالله وحده أن يفعل الأمور الإلهية^٢ .

المسيح ذو السلطان الذاتى :

يتحدث القديس كيرلس عن ألوهية السيد المسيح ويقول فى تفسيره للإصحاح العاشر من
الإنجيل للقديس يوحنا فى تعليقه على قول السيد المسيح " لى سلطان أن أضعها ولى
سلطان أن آخذها أيضاً " يو ١٠ : ١٨ " ما يلى : ان السيد المسيح لم يقل " لى سلطان
فقط " عندما يقول (أضع نفسى للموت ، بل يقول " لى سلطان " فيما يخص الموت
والقيامة معاً ، لكى يظهر أن عمل القدرة والطاقة ليس خاصاً بآخر غيره منح له هذا
السلطان كخادم وعامل عنده ، بل لكى يظهر أن قوته فى ممارسة السلطان حتى على
رباطات الموت هى ثمرة طبيعته الخاصة ، وأنه يستطيع بسهولة أن يعدل طبائع الأشياء بأى
طريقة يريد . وهذه إحدى خصائص الذى هو بالطبيعة الله . فبقوله " لى سلطان " يبين
أنه لم يأخذ أمراً كعبد أو خادم ، كما أنه لم يكن نتيجة اضطراب أو اجبار من آخرين ، بل
باختياره جاء ليفعل هذا (ترجمة دكتور موريس تاوضروس ، ودكتور نصحي عبد الشهيد
: المرجع السابق ص ١٤٠) .

وفى تعليق القديس كيرلس على قول السيد المسيح " هذة الوصية قبلتها من أبى " يو ١٠ :
١٨ " يقول : لثلا يدخل أحد النزاع أو الخلاف فى الألوهية الواحدة التى للآب والابن
فالرب بهذه الكلمات التى يقوها " قبلت وصية " يبين أن الآب أيضاً موافق وراض عن هذا
، ويوضح أنهما يتمان هذا الأمر برأى واحد رغم أنه هو مشورة الآب وهذه المشورة
متناغمة أيضاً مع تدبير تجسده . ويقول إنه قبل ما يلدو صواباً فى عيني أبيه - قبله كوصية
- فإذ هو بالطبيعة الله ، لا يجعل نفسه بهذا القول أقل من الآب ، بل يشير إلى ما يناسب
اشترাকে فى طبيعة البشر وهو يذكرنا بأنه نفسه النبى الذى قال عنه الآب " سوف يتكلم
بحسب ما أوصيه " (تث ١٨ : ١٨ س) متحدثاً عن المشورة المشتركة للآب والابن معاً
كما قبلت الوصية . والرب يتكلم بهذا لليهود لثلا يظنوا أنه يقول أشياء مضادة لوصايا
الآب . وإن كان الآب قد دعا ابنه الذى له نفس الجوهر نبياً ، فلا تضطرب ، لأنه حينما
صار إنسان ، فحينئذ صار لقب النبى مناسب له . وعندئذ يمكن أن نقول إن الوصايا

١- شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرى - الجزء الثقل - ترجمه عن الأنجليزية دكتور جرجس كامل يوسف - مركز
دراسات الآباء ١٩٩٥ ص ٤٤٠، ٤٤٥ .

أعطيت له من الآب تدبيرياً (أى ما يناسب الطبيعة البشرية) ولكن ذلك الذى يقبل وصايا لا يكون لهذا السبب غير مماثل فى الجوهر أو الطبيعة لذلك الذى يعطى الوصايا . إذ أن البشر يعطون وصايا للبشر أمثالهم ، والملائكة للملائكة ، ونحن لا نقول فى هذه الحالة أن الذين أعطيت لهم الوصايا مختلفون فى الطبيعة ولا هم أقل . وعلى ذلك فالابن ليس أقل من الآب رغم أنه صار انساناً لكى يصير نموذجاً لكل فضيله لأجلنا . وبهذا أيضاً فهو يعلمنا أنه ينبغى أن نطيع والدينا فى كل شئ رغم أننا مساوون لهم من جهة طبيعتنا . ورغم أنه قال أيضاً أبى أعظم منى ، فهذا ليس ضداً لما قبله . لأنه إذ هو بالطبيعة إله فهو مساو للآب ولكن من جهة أنه صار إنساناً ووضع نفسه فهو يتكلم بكلمات تناسب إنسانيته تدبيرياً (المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤٢) .

وفى تعليقه على قول السيد المسيح "الأعمال التى أعملها باسم أبى تشهد لى" يقول القديس كيرلس :

إن طبيعة كل واحد ينبغى أن تقيم من نوع أعماله ، وينبغى أن لا ننظر بأى حال إلى كلماته فقط . وهو نفسه (أى السيد المسيح) يقول أنه يتم أعماله باسم أبيه وهو لا يستمد قوته من فوق بالطريقة التى تحدث مع أى قديس ولا يقول عن نفسه أنه محتاج إلى قوة ، إذ هو الإله من الإله وهو من نفس الجوهر مع الآب وهو قوة الآب . ولكن إذ هو ينسب قوة أعماله إلى المجد ، فإنه يقول إنه يعمل باسم أبيه . وهو أيضاً يعطى الكرامة للآب . لكى لا يسمح لليهود بأن يجدوا حجة للهِجُوم عليه . وإضافة إلى ذلك فهو أيضاً فكر أنه من المناسب ألا يتجاوز حدود " صورة العبد " رغم أنه هو الله وهو الرب . ويقول أنه يعمل أعماله باسم أبيه فهو يعلم بأن اليهود جدفوا حينما قالوا إنه طرد الشياطين بواسطة بعزبول (أنظر لو ١١ : ١٥) وحيث ان الآب يعمل الأعمال العجيبة ليس بسبب كونه أباً بل بسبب إنه إله بطبيعته ، هكذا الابن فهو ليس بسبب كونه ابناً بل كإله من إله ، يستطيع هو نفسه أن يعمل أعمال الآب : لذلك قال تدبيرياً إنه يعمل أعماله باسم أبيه (المرجع السابق ص ١٤٨) .

وفى تفسيره للإصحاح الثامن من الإنجيل للقديس يوحنا ، يتساءل القديس كيرلس : هل الابن حصل على القوة والفهم من الآب لكى يستطيع أن يعمل شيئاً وأن يتكلم بلا لوم ؟ وكيف يكون بعد ذلك إلهاً بالطبيعة ذلك الذى يستعير القوة والحكمة من آخر ، كما هو الحال فى الطبايع المخلوقة ؟ لأن تلك الكائنات التى من عدم الوجود تحصل على الوجود فكل شئ يختص بها هو أيضاً يعطى لها من الله بالتأكيد . ولكن الأمر ليس هكذا بالنسبة

للإبن . لأنه كما أن عدم الفساد وعدم الموت ينبغي بالتأكيد أن يكون له بالطبيعة وليس

من خارجه . لا أن يضاف إليه ، هكذا يكون أيضاً الكمال الكل . وعدم النقص في كل

الصالحات . ولو أن الإبن ناقص من جهة قدرته أن يعمل الأمور الإلهية وأن يتكلم بما هو صواب ، وفي نفس الوقت هو قوة الآب وحكمة الآب بحسب الكتاب الإلهي فمثل هذا الإتهام الخطير سيكون بالأحرى موجهاً ليس للإبن بل للآب . فالآب لن يعود كاملاً فيما بعد في القوة كما أنه لن يكون كاملاً في الحكمة .

ويتساءل القديس كيرلس متعجباً: كيف يهب الله قوة لقوته الذاتية ، أو كيف يجعل حكمته الذاتية أكثر حكمة ؟ وكيف يدعى الإبن بعد ذلك رب القوات (مز ٢٤) ، أو كيف يدرك بعد ذلك على أنه الحكمة والقوة ، إن كان بحسب رأيكم - ينال حكمة من آخر . فالإبن له خصائص الألوهية بدرجة كاملة . وهو حكيم ليس بواسطة التعلم . وفي قوته التي ندركها حقاً لا نرى قوة تضاف إليه من خارجه إنه في كل شيء مساو للذى ولده وهو ليس أقل منه بأية طريقة وبأى حال . والذين يحطون من قدر رسم (صورة) الله الآب ، فهم لا يفهمونه هو نفسه بقدر ما يهتمون الآب الذى الابن هو رسم له ، حيث إن الآب يكون على حسب ما يرى في الإبن .

وعندما يقول الإبن: أنا لا أفعل شيئاً من نفسى ، فهو هنا لا يلوم طبيعته الخاصة كأنها ضعيفة . فلنفترض أن هناك إنسانين لهما نفس الطبيعة ، متساويين في القوة ، ولهما فكر واحد أحدهما مع الآخر ، فلو قال أحدهما : أنا لا أفعل شيئاً من نفسى ، فهل سيقول هذا كأنه ضعيف ولا يستطيع أن يفعل شيئاً بالمرّة من نفسه ، أم أنه يقول هذا لأن الإنسان الآخر هو في إتفاق معه وله فكر واحد معه ومتحد معه ؟ فهكذا يجب أن نفهم عن الإبن . فحيث إنه هو حكمة الله ومشورته الحية فهو يعترف أنه لا يفعل شيئاً آخر غير ما يريده الآب إذ هو حكمته ومشورته . وكما أن الفهم الذى فىنا لا يحسب أنه شئ آخر غيرنا نحن أنفسنا ، فبنفس الطريقة ، فإن حكمة الله أى الإبن ليس مختلفاً عن الآب من جهة وحدة الجوهر والتطابق الدقيق للطبيعة ، لأن الآب أب والإبن إبن في نفس الكيان (شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري - الأصحاح الثامن - للدكتور موريس تاووضروس والدكتور نصحي عبد الشهيد ٢٠٠٠ ص ٧٦ ، ٧٧) .

وللتوضيح يقدم القديس كيرلس مثلاً آخر من عالم الإنسان ، فيتساءل:
من الذى يعلم الطفل المولود ولو حديثاً أن يستعمل الصوت البشري (الكلام) ؟ لماذا لا يزار مثل أسد أو يقلد بعض المخلوقات الأخرى غير العاقلة ؟ لكن الطبيعة إذ تشكل الجنين

حسب خاصية الزارع (الآب) وهكذا بالضرورة سوف ينمو حتى يصل إلى الصوت المشترك (المفهوم) الذى نستخدمه جميعاً . إذن فمن الممكن بدون تعلم أن يتعلم من الطبيعة التى تسكب كل خاصية الزارع فى الجنين .

هكذا يؤكد الإبن الوحيد نفسه أنه يتعلم من الآب ، لأن ما تمثله الطبيعة بالنسبة لنا ، فبال تأكيد تماماً يكون الله الآب بالنسبة للإبن . وحيث إننا بشر ومن بشر بدون تعلم نتعلم من الطبيعة ونتكلم كما يناسب البشر ، هكذا الإبن أيضاً ، حيث إنه إله من إله بالطبيعة ، تعلم من طبيعته الخاصة أن يتكلم كإله وأن يقول شيئاً إلهياً مثل " أنا هو نور العالم " .

لأن ما يعرفه عن نفسه أنه هو (نور) ، بسبب أنه من الآب (أى نور من نور) ، فهذا ما قال عنه إنه تعلمه من الآب ، إذ له نوع من التعلم بدون تعلم للأعمال والكلمات الإلهية ، من الطبيعة الخاصة لذلك الذى ولده ، صاعداً مع الله الآب كما بقوانين ضرورية للتماثل فى كل شئ فى الإرادة والكلام .

لأنه بلا شك فإن التماثل فى الإرادة والتساوى والمشاغمة فى الكلمات توجد بالضرورة فى أولئك الذين لهم نفس الطبيعة .

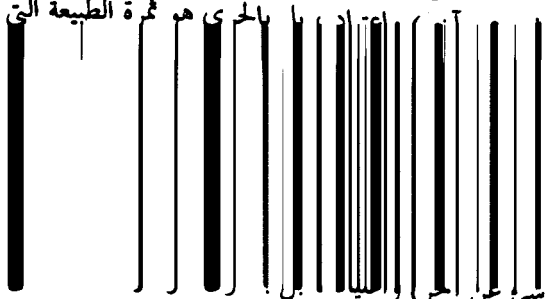
نحن نتكلم عن الله بصفة مطلقة وليس عن أنفسنا . فالقوارق فى الأخلاق والاختلافات فى المشيئات وطغيان الشهوات تجذبنا بعيداً عن حدود ما هو لائق . أما بالطبيعة الإلهية الفائقة الإدراك إذ هى ، هى نفسها على الدوام ، وثابته بدون تزعزع فى صلاحها الخاص ، فلا يمكن أن يوجد فيها ايه إختلافات . وكيف لا تتقدم فى مسارها المستقيم نحو غرضها الخاص وتتكلم وتحقق ما هو خاص بها . إذن فالابن الوحيد لأنه هو من نفس الجوهر مع الذى ولده وهو يتفوق (على البشر) فى كرامات اللاهوت الواحد ، فإنه بالتأكيد وبالضرورة سوف يعمل ما يعمل الآب نفسه أيضاً ، لأنه هذا هو معنى أن لا يعمل من نفسة شيئاً . وبالتأكيد سيتكلم بما يخص ذاك الذى ولده لا كخادم ولا كمأمور ولا كتمليذ ، بل إذ له ثمرة طبيعته نفسها (التى للآب) فإنه يملك أن يستخدم كلمات الله الآب أيضاً . لأنه هنا يظهر بكل وضوح وبعيداً عن كل لوم : أن ليس شيئاً مما يقوله هو من عنده .

(نفس المرجع ص ٧٨ ، ٧٩) .

صلاح المسيح بالطبيعة:

إن الرب يسوع هو صالح بالطبيعة ، ورغم أنه صار إنساناً بسبب محبة للبشر ، فقد ظل على ما هو عليه حسب الطبيعة ، أى إله . ويقول القديس كيرلس :

نحن لا نندفع إلى أفكار متهورة فنظن أن الإبن يظهر أى فضيلة كأنها صادرة عن تفضيل (



سنى عن آخره والسيء بل بالحرى هو ثمرة الطبيعة التى لا تعرف التحول والتى لا تحتاج إلى عون إلهى فى المشورة لكى تفعل أى شئ . لأنه بالنسبة إلى المخلوقات إذ هى يمكن أن تتحول إلى الأسوأ ، وتتغير مما هو أفضل إلى ما هو أسوأ ، فإن الصلاح فيها يكون ثمرة إتجاه نحو التقوى والفضيلة .

وأما بالنسبة إلى الطبيعة الإلهية التى هى فوق الكل ، فليس الأمر هكذا . لأنه حيث إن كل تغير وتحول ليس له مكان فيها ، فإن الصلاح هنا يكون ثمرة الطبيعة التى لا تقبل التغير ، وذلك مثل الحرارة بالنسبة للنار والبرودة بالنسبة للثلج . لأنه من الواضح أن النار لها فعلها الخاص بها وهو ليس إرادياً بل طبيعياً وجوهرياً ، وهى لا يمكن أن تكون غير ذلك إلا إذا أبعدت عنها بأمر صانعها . لذلك فالإبن ليس مثلنا أو مثل أى واحد من الخليقة العاقلة التى تحكمها الإرادة والحرية للسعى نحو عمل يرضى الله الآب . فالأبن الوحيد لا يقول مثل هذا ، ولكن يتبع قوانين طبيعته الخاصة ، ولا يفكر أو يعمل شيئاً إلا بحسب مشيئة ذاك الذى ولده . لأنه كيف يستطيع اللاهوت الواحد الذى له نفس الجوهر أن يكون مختلفاً على الإطلاق مع نفسه ؟

أو كيف يمكن أن يعمل ما لا يريده وكان هناك من له سلطان أن يحوله إلى إتجاه آخر ؟ لأنه رغم أن الله الآب كائن بذاته وبنفسه ، وبالمثل أيضاً الإبن والروح إلا أن الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر لا يتمزق ويصير إلى انفصال كامل بل ملء الثالوث الكلى هو فى طبيعة واحدة لللاهوت (نفس المرجع ص ٨٣ ، ٨٤) .

وعندما قال الرب (من منكم يكتنى على خطية) فالسؤال ليس سؤال من ينتظر التائب ، بل بالحرى هو سؤال من يستبعد وينكر تماماً أى احتمال أن الإله نفسه الذى أشرق من الله يمكن أن يسقط فى خطية ، لأن المسيح لم يفعل خطية . فكل خطية إنما تنشأ من التحول عن الأفضل إلى ما ليس كذلك ، وهى تحدث فى أولئك الذين من طبيعتهم أن يتحولوا وان يتقبلوا التغير الى ما لا ينبغى أن يكون ، لأنه كيف يمكن أن يفهم أن السدى لا يعرف أى تحول يمكن أن يخطئ ، بل بالحرى هو ثابت فى صلاحه المغروس فيه ، وهذا الصلاح ليس من شخص آخر غيره بل من إرادته ؟ (نفس المرجع) .

٤- الروح القدس وألوهيته :

يقول القديس كيرلس :

حيث ان البعض لهم جسارة كاذبة ويتهورون بالكلام ضد الابن والروح القدس أيضاً ، مدعين أنه مخلوق وأنه ليس من جوهر الله الآب ذاته ، دعونا نحشد كلمه الحق ضد ما يصدر من ألسنتهم الموحاء . لأنه إن كان روحه الخاص ليس بالطبيعة هو الله ، وليس من الله ، وبذلك يكون غير موجود فيه جوهرياً ، بل هو مختلف عنه ، وهو غير بعيد عن مشاركة المخلوقات في الطبيعة ، فكيف يقال عنا نحن الذين نولد بواسطته ، أننا مولودون من الله ؟

وإما أن يكون الإنجيلي كاذباً (وهو ليس كذلك) وإما أن يكون صادقاً وبذلك يصبح الروح القدس هو الله ومن الله بالطبيعة ، ونصبح نحن مستحقين ، بالإيمان بالمسيح ، للإشتراك في الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤) ومولودين من الله ، ومدعوين الهه ، وليس بالنعمة وحدها نظير إلى المجد الذى فوق طبيعتنا ، بل الآن لنا سكنى الله وإقامته فينا ، حسبما قيل بالنبي " سأسكن فيهم وأسير معهم " (لاويين ٢٦ : ١٢ - ٢ كو ٦ : ١٦) . وعلى المقاومين لنا الذين إمتلأوا من عدم المعرفة أن يخبرونا كيف يسكن الروح القدس فينا ، وهو ما يجعل الرسول بولس يدعونا هيكل الله ، إن لم يكن هو الله بالطبيعة . وإذا كان الروح القدس مخلوقاً ، فكيف قيل إن الله يهلك من ينحس هيكل الله (١ كو ٣ : ١٧) أى عندما يتدنس الجسد الذى يسكن فيه الروح القدس ، والذى بسبب سكناه ، نال كل ما يخص الله الآب بالطبيعة وما يخص بالمثل ابنه الوحيد .

وكيف يصبح المخلص صادقاً في قوله " إن أحببني أحد يحفظ كلامى وابتى يحبه وإليه نأتى وعنده نضع منزلاً (يو ١٣ : ٢٣) ونستريح فيه " أليس الروح القدس هو الذى يسكن فينا ونحن نؤمن أنه به يكون لنا الآب والإبن - كما قال يوحنا أيضاً في رسائله . بذلك نعرف أننا نسكن فيه وهو فينا ، لأنه أعطانا من روحه (١ يو ٤ : ١٣) . وكيف يدعى الروح القدس روح الله إذا لم يكن منه وفيه بالطبيعة ؟ ولذلك فهو الله . ولو كان كما يدعون مخلوقاً وهو روح الله ، ليس ما يمنع الخلائق الأخرى من أن تدعى أرواح الله ، فهذا يصبح ممكناً بالنسبة لهم نظراً للمساواة التى بينهم وبين الروح القدس .

وفي مواضع أخرى يقول القديس كيرلس :

١- شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

+ لأنه بسبب وحدة الجوهر فالروح موجود في الابن ، كما هو في الآب أيضاً (شرح

انجنا - حنا - الكتاب الأول - ص ١٧٠) .

+ الابن له الروح بحسب وحدة الجوهر (المرجع السابق ص ١٧١) .

+ كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن الابن الذي هو معه ومتحد به في الجوهر الواحد وموجود فيه بالطبيعة ولا يمكن أن يكون مختلفاً عنه لأنه أقنوم مثله له ذات الطبيعة

الإلهية التي للإبن (المرجع السابق ص ١٧٢) .

+ هاهو يقول عن الروح القدس " روح الحق " والابن وحده وليس غيره هو الحق . وإذا كان الابن بالطبيعة يدعى الحق فعليتنا أن نرى كم هي عظيمة الوحدة التي بينه وبين الروح

القدس (نفس المرجع ص ١٧٢) .

+ ولذلك السبب نفسه (أى ألوهية الروح القدس) ، إذ يحل الروح في إنساننا الداخلى ،

يقال إن المسيح نفسه هو الذى يحل فينا " (نفس المرجع ص ١٧٢) .

الروح لم يظهر مطلقاً لأنه الله وإحتفظ بطبيعته الإلهية غير الظاهرة ، وظهر فقط بشكل

حمامة (نفس المرجع ١٧٢) .

+ لأن الروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب ولكنه خاص بالابن أيضاً ، وكثيراً ما يدعى

روح المسيح رغم أنه منبثق من الآب . لذل فالروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب كما

قلت ، ولكن كلمته الوحيد ، لكونه بالطبيعة هو الابن حقاً وهو يلمع بأجماد الآب ، فإنه

يعطيه (الروح القدس) للخلقة ، ويمنحه لأولئك الذين يستحقون (تفسير إنجيل لوقا -

الجزء الأول - ص ٧٣ ، ٧٤) .

+ من يقول إن الرب الواحد يسوع المسيح قد تمجد من الروح ، وأن الرب كان يستخدم

القوة التي من الروح كما لو كانت خاصة بقوة غريبة عنه ، ويقول أن الرب قبل من

الروح القوة للعمل ضد الأرواح النجسة ويتمم العجائب بين الناس ، ولا يقول بالحرى أن

الروح خاص ، والذى - عمل المعجزات ، فليكن محروماً (رسائل القديس كيرلس إلى

نسطور ويوحنا الأنطاكي - ص ٣٨) .

الموضوع الثانى : التجسد

١- التجسد والإخلاء

يقول القديس كيرلس :

إن الله الكلمة بطبيعته كامل من كل الوجوه. ومن ملته يوزع عطاياه للخلائق. ونحن نقول عنه أنه أفرغ ذاته دون أن يمس هذا بطبيعته، لأنه عندما أفرغ ذاته لم يتغير إلى طبيعة أخرى،

ولم يصبح أقل مما كان عليه لأنه لم ينقص شيئاً. هو غير متغير مثل الذى ولده (الآب) ومثله تماماً غير عرضه للأهواء. ولكن عندما صار جسداً أى إنساناً، جعل فسر الطبيعة الإنسانية فقره ولذا قال "سأسكب من روحى على كل جسد" (يوئيل ٢: ٢٨) ولقد تم هذا:

أولاً: لأنه صار إنساناً رغم أنه ظل الله

ثانياً: أخذ صورة العبد، وهو بطبيعته حر كلين، وفي نفس الوقت هو نفسه رب المجد، ولكن قيل أنه تمجد لأجلنا. هو نفسه الحياة ولكن قيل أنه أحى أى أقيم من الأموات. وأعطى سلطاناً على كل شئ وهو نفسه مالك كل الأشياء مع الله آب. أطاع آب وتألم وما إليه... هذه الأشياء تخص الطبيعة البشرية، ولكنه جعلها له (أى تخصه) عندما تجسد لكي يكمل التدبير ويقبى كما هو. وهذا ما تقصده الأسفار المقدسة بإفراغ الذات.

(د. جورج بباوى: تجسد الإبن الوحيد للقديس كيرلس الإسكندرى ١٩٧٥ — ص

١٦،١٥)

ويشرح القديس كيرلس أيضاً مفهوم الإخلاء فى كتابه المسيح واحد، فيقول:

الإخلاء هو أن الذى فى صورة الله صار فى شبهنا والذى هو فوق الكل وضع نفسه وأطاع حتى الموت وأخلى ذاته تدريجياً حسب ما يتطلبه وضع الجسد. ولكنه ظل الإله الذى لا يحتاج إلى النعمة التى يحتاج إليها كل مخلوق. ولهذا السبب قال لآب الذى فى السماء "مجدنى بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥). ولست اعتقد بأنهم سيتخاسرون على القول بأن الذى كان يطلب هذا هو الإنسان المولود من نسل داود، أو أنه كان يطلب المجد الذى كان له قبل خلق العالم. لا يقدر الإنسان المنفصل عن الكلمة أن يطلب المجد، لأن هذا المجد لا يخص طبيعة ذاك الذى ولد فى الزمان وفى آخر

الدهور من نسل داود . ولكن المسيح الواحد هو الذى كان يطلب مجده ، لأنه أخلى ذاته
وتجسد وصار إنساناً مثلنا في كل ما يخص الناسوت دون أن يفقد البهاء والكرامة الإلهية

الخاصة به، والتي للآب أيضاً. وكل ما ذكرناه يكون صحيحاً في حالة واحدة فقط وهي
إيماننا بإخلاء الابن . لذلك حتى لانقع في الجرم الذى يحذرنا منه المزمور " لا يكــــن
لك إله جديد في وسطك" (مز ٩:٨١س). وإذا كان حسب إعتقادهم أن إنساناً هو الذى
أخذ الإسم الذى هو فوق كل إسم أى أن إنساناً صار إلهاً بسبب الشركة والصلة بالكلمة
وأنه يجلس على عرش الآب شريكاً له في الكرامة الالهية، فهذا ليس إلا إلهاً جديداً ووثنية
(د. جورج بياوى: المسيح واحد للقديس كيرلس الإسكندرى ١٩٨٧ ص ٦١).

وأيضاً في كتابه "حوار عن الثالوث" يشرح القديس كيرلس مفهوم الإخلاء فيقول :
تجسد وصار مثلنا، عند ذلك فقط حسب ضمن إخوة كثيرين ودُعى البكر. متى

حدث الإخلاء؟

عندما ولد البكر من العذراء والذى هو في نفس الوقت الإبن الوحيد من الآب، فصار في
عداد البشر كإنسان وهو الذى فوق الكل. ومتى حسب فقيراً وهو الغنى؟ عندما أخذ
الرب ما هو غريب عنه أى الجسد فصار فقيراً عندما صار في الجسد.

(المرجع السابق، ص ٦٠- هامش).

* إذا كان الجسد قد أضيف إليه (إلى الكلمة) لأنه من طبيعة غير طبيعته، فالكلام عن الجسدي
في الجسد يستقيم، ويعنى أن الكلمة جاء فعلاً إلى العالم ليخلص العالم وظل بدون تغيير
كما كان منذ الأزل، مع أنه تجسد وصار إنساناً. وبسبب الإتحاد نرى أنه لا يوجد ما يمنعنا
من الإعتقاد بأن كل شئ قد خلق بواسطته، لأننا نؤمن أنه الله الكائن منذ الأزل مع
الآب، لأن الله الكلمة لم يتغير عندما أخذ جسداً ذا نفس عاقلة. هذا واضح من كلام
الرسول الذى يتعارض مع تعليم المعاندين الذين يغيرون الإيمان مدعين بأن الكلمة
إتصل بإنسان . لكن الكلمة تجسد فعلاً، وهذا ما يجعل الكلام عن مسحته في الأردن ذا
مضمون حقيقى ، وهو أيضاً ما يجعلنا ندعوه يسوع لأنه حقاً تجسد وولد جسدياً من
إمرأة ، وهو ما يجعله يخلص شعبه من خطاياهم . كل هذا يجعلنا نرى أنه

لاصحة للتعليم القائل بأن الله حل في إنسان أو أنه أتصل به ، وإنما الكلمة تجسد وصار
في هيئة البشر الختطة لكي يتحدد الجنس البشرى فيه هو أولاً _ ويعود إلى ما كان عليه
سابقاً ويتم القول "الكل صار جديداً" ٢كو ٥:١٧ (المرجع السابق ص ٦٣).

* حقاً إن طبيعة الله الكلمة مملوءة بالمجد الحقيقي والملوكى والربوبية ، ولكن عندما تجسد وصار إنساناً صار فقر الإنسانية فقره والمسيح حقاً هو سر عجيب مدهش ففى صورة العبد نجسد الربوبية ، وفى الكيان الإنسانى نجد مجد اللاهوت . والذى تحت النير حسب مقياس الناسوت ، هو فى الوقت يلبس إكليل اللاهوت الملوكى .

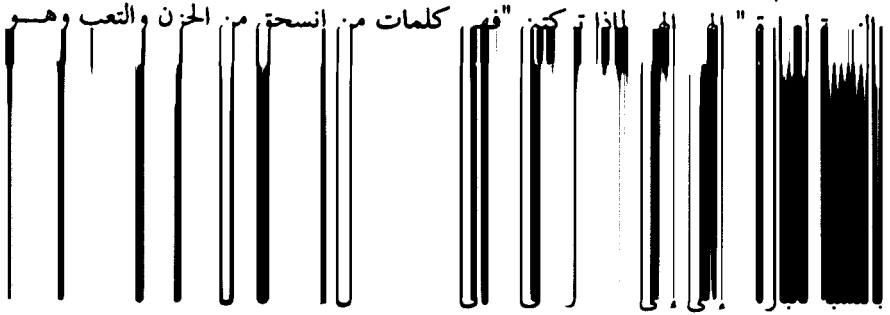
والفائق الذى يعملو على كـل الأشياء هو فى عمق الإتضاع . كل هذا يشرحه الحق الواضح وهو أن الإبن الوحيد تأنس ولكن لم يبق دائماً فى حالة الإخلاء ، بل ليأخذ الذى لنا ونعرفه أنه الإله المتجسد ، وبمكنتنا بعد ذلك نحن البشر أن نشترك فى كرامته الإلهية الفاتقة (المرجع السابق ص ٧٢) .

*كيف نفهم قول الرسول بولس : "الذى فى أيام جسده قدم صلوات وتضرعات بصراخ شديد ودموع للقادى أن يخلصنا من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ، ورغم أنه الإبن تعلم الطاعة من الأشياء التى تألم منها ، وكمل ، فصار مصدر خلاص ثابت لكل الذين يطيعونه" (عب ٥:٧-٩) وبالمثل ، كيف نفهم قول المسيح على الصليب : إلهى إلهى لماذا تركتني (مت ٢٧: ٤٦) .

ويجب القديس كيرلس على ذلك فيقول :

هذه النصوص لاتطبق على الله الكلمة الذى هو من الله الاب قبل التدبير . وإذا لم نعرف بأنه قد تجسد حسب ما تعلم به الكتب لايمكن أن نقبل هذه النصوص على أنها خاصة بلاهوت الكلمة ، ولكن حيث إننا نؤمن بثبات وبدون شك أن التجسد حقيقة ، كل من لايقبلها هو خال من التقوى . علينا أن نقرب على قدر إستطاعتنا من عمق التدبير . الكلمة الذى من الله الاب ظهر فى شكلنا لكى يعين بشكل فائق حالتنا التى وصلنا إليها نحن البشر ، ولكى يؤسس الطريق الذى يقودنا إلى ما هو فائق وبجيد ، وكان من الضرورى أن نتعلم نحن الذين فى ضيقة بسبب محبتنا لله كيف نواجه التجارب عندما تهاجمنا وكيف نتصرف نحن الذين قبلنا أن نعيش حياة جديدة ونحولنا إلى هذا الأسلوب الفائق . هل نعيش حياة التكاثر أم نتم بالصلاة ونغتسل بالدموع ونعطش إلى المعرفة التى تأتى منه فى الوقت الذى تهاجمنا فيه الشدائد ، وكان من الضرورى أن نعرف ما هى فائدة الألم والجائزة التى نالها . لذلك صار المسيح مثلاً لنا " لأن المسيح مات عنا وترك لنا مثلاً لكى نتبع خطواته " (١ بط ٢ : ٢١) . ولأن الكلمة لم يكن بلا جسد ، بل إشتراك فى كل ما يخلصنا وأخلى ذاته فصار فى أيام جسده مثالا لنا . وما هو الخطأ إذا تصرف حسب المقياس الإنسانية مثل إطالة الصلاة وسكب الدموع واحتاج إلى المعونة بل إلى أن يتعلم

الطاعة رغم كونه الإبن . لقد تنازل إلى حالتنا ليقبل فقر طبيعتنا ولذلك صار مثلاً . أما



بوجاهة الشدة والمحنة . تأمل الكلمات الخاصة بالإخلاء والتي تتفق مع الناسوت ، كيف سجلت هذه الأقوال في وقتها المناسب لكي تعلن أن الذى هو فوق كل الخليقة صار مثلنا في كل شئ . وإذا اعتبرنا أن الإبن الوحيد تأنس ، فهذا الإعتبار هو الذى يجعلنا نفهم لماذا صدرت عنه هذه الكلمات لأنه صار كواحد منا ونائب عن كل الإنسانية فقال هذه الكلمة لأن الإنسان الأول تعدى وسقط في عدم الطاعة ولم يسمع الوصية التي أعطيت له ، ولكن الإبن صار البداية الجديدة على الأرض ودعى آدم الثاني ، وكان الإبن الوحيد يقول : أنت ترى في أنا الجنس البشرى وقد وصل إلى عدم الخطأ و قدوس و طاهر " فاعطه الان البشارة المفرحة الخاصة بتعطفك وأزل تخيلك . هذه هي معاني كلمات المخلص التي كان يستدعى بها تعطفه (الاب) ، ليس عليه هو ، بل على الجنس البشرى الذى يمثله ، لأن ثمار المعصية مرت من آدم الجذر والأصل إلى كل الطبيعة الإنسانية ، فالموت ملك من آدم إلى موسى (رو ٥ : ١٤) ، وهكذا ثمار الباكورة الجديدة ، المسيح ، تصل منه هو الأصل أو الجذر إلى كل الجنس البشرى (رو ٥ : ١٥) - (المرجع السابق ص ٧٣ : ٧٨)

* لقد كان خطأً نشطاً وأتباعه أقم يقسمون ويفصلون الكلمات والحقائق وينسبون بعضها فقط إلى الإبن الوحيد ، والآخر إلى إبن ليس هو الإبن الوحيد ، بل إلى إبن ولد من امرأة . علينا أن لانقسم الواحد إلى شخصين وأقنومين ، كل منهما منفصل عن الآخر . ولكن حيث ان الإبن الواحد الكلمة تجسد لأجلنا - فكل الكلام والحقائق تخصه لاهوتياً وإنسانياً بعد أن تجسد وتأنس وأخلى ذاته فما هو الضرر الذى يقع عليه ان نسبنا إليه أفعال الطبيعة البشرية (ما عدا الخطية) ، لأننا نقول ان جسده خاص به وأيضاً ضعف هذا الجسد يتفق مع التدبير الذى اقتضاه الإخلاء ، لأنه صار مثل إخوته في كل شئ ما خلا الخطية (عب ٢ : ١٧) . ولا تتعجب إذا قلنا انه جعل ضعف الجسد ضعفه عندما قبل أن يتجسد ، ولكن - لأنه لم ينقسم - فهو بعينه ، الإبن الوحيد الحق و صورة الله غير المنظور - وهما مجد أقنوم الآب وختم جوهره هو الذى أخذ صورة العبد ، ليس كمن اتصل بها - بل هو نفسة تجسد و اتخذ هذه الصورة وظل كما هو مساو لله الآب . وهذا يخبرنا به بولس الحكيم " الله هو الذى أشرق في قلوبنا نور معرفة مجده في وجه (شخص) يسوع المسيح " ٠٢ كو ٤ : ٦) . وعلينا أن نفهم كيف في شخص المسيح ظهر المجد الإلهي غير المنطوق به . لأن الإبن الوحيد المتجسد يعلن في شخصه مجد الآب

الإلهي غير المدرك . إننا لانستطيع أن نرى الله في صورة إنسان بل في الكلمة الذي تجسد وصار إنساناً مثلنا ، وفي نفس الوقت ظل الإبن الحقيقي (المرجع السابق ص ٧٩ - ٨١) . والإنجيلي الحكيم قال أولاً أن الكلمة صار جسداً ، مؤكداً أن جسده سوف ينمو وفق قوانين الجسد ، لأنه ينتمي إلى الإنسانية ولذلك يتقدم في القامة والحكمة وأيضاً النعمة . كل هذه الأمور تسير معاً عندما ينمو الجسد في القامة حسب مقاييس الطبيعة الإنسانية وسمح تدريجياً أن تنطبق عليه مقاييس الطبيعة الإنسانية ، وأن يتقدم قليلاً إلى ما هو أعظم حسبما تستدعي مراحل العمر ، وأن تنمو القامة مع الإدراك في إنسجام . والكلمة كامل في كل شيء ولا يحتاج إلى النمو ولا إلى الزيادة ، بل لقد وصل بهذه الكلمات لأنه جعل ما يخصنا يخصه هو ، لأنه صار مثلنا ، و لكننا نعرف أنه فوق الكل كإله . وحقاً يتحاسر بولس رغم معرفته بأنه قد صار جسداً ويقول ، و هو يتطلع إلى بماء اللاهوت ، أنه ليس إنساناً فكتب إلى الذين في غلاطية " بولس رسول ليس من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح " (غلا ١ : ١) ، والإنجيل الذي كرزت به ، أنه ليس بإنسان ، لأن لم أقبه من إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح " (غلا ١ : ١١ ، ١٢) (المرجع السابق ص ٨٢ ، ٨٣) .

و هكذا فإن القديس كيرلس لا يجد نقصاً في أن يوصف السيد المسيح بالتقدم في القامة والحكمة والنعمة ، كما يوصف بالجوع والتعب و كل الصفات الأخرى مثل الألم وأن الآب أقامه ، ذلك لأننا نؤمن أن الناسوت يخصه تدريجياً ، ومع الناسوت كل ما يخص الناسوت من صفات .

وفي كتابة " شرح تجسد الإبن الوحيد " يتحدث عن آلام السيد المسيح باعتبارها تخص التدبير ، فيقول :

الآلام تخص التدبير . والله الكلمة جعل ما يخص جسده يخصه هو نفسه بسبب الإتحاد الفائق الوصف . لكنه ظل فوق الآلام حسب مقتضى طبيعته لأن الله لا يتألم . ولا غرابة فيما نقول ، لأن نفس الإنسان تظل فوق الآلام عندما يتألم جسدها . ونحن لانعتبر النفس بعيدة عن الآلام ، أو أن الآلام عندما تحدث للجسد لانخص النفس لأن الجسد السدى يتألم هو جسدها . وعندما يتألم الجسد فالنفس المتحدة به وهي من طبيعة بسيطة لاتلمس ، لا تظل بعيدة عن الألم ، ليس غريباً عنها بالمرّة (ص ٥١ ، ٥٢) .

* إن الكلمة يعطى الجسد من صفاته ، حتى أننا يمكن أن نقول بسبب الإتحاد أنه (الجسد) نزل من السماء ، لأنه (الكلمة) عندما أتحد به جعله واحداً معه . ولا حظ أنه عندما يذبح

العصفور الأول يغمس العصفور الثاني في دم الأول دون أن يموت. ما معنى هذا؟ أن الكلمة حي وإن مات جسده، وبسبب الاتحاد اشترك هو في الآلام لأن الجسد الذى تألم

هو جسده هو،

* وهو الواحد بعينه، (فقبل هو نفسه الآلام دون أن تتألم طبيعته) (ص ٥٣).
* مما يساعدنا على الفهم، أن نعرف الفرق بين التعبيرات المختلفة التى تستخدم عن المسيح الواحد، وهى كلها لا تنطوى على أى نوع من التجزئة بل تتحدث عن الواحد دون تقسيم ودون أن تشير إلى إثنين:

إننا نقول أن الله الكلمة ولد من امرأة حسب الجسد، رغم أنه هو نفسه يعطى الميلاد لكل البشر ويدعو الأشياء التى لم تولد بعد، إلى ميلادها فى الوقت المعين. فكيف يولد من امرأة ويخلق الأشياء فى ذات الوقت؟ هذا ما أعنيه من التعبيرات المختلفة التى تصف الواحد بعينه. فهو ولد عندما صار إنساناً مثلنا. وهو يدعو الأشياء التى لم توجد بعد إلى الوجود لأنه الله. وهكذا أيضاً مكتوب عنه " وكان الصبى ينمو ويتقوى مملوءاً من الحكمة والنعمة " (لوقا: ٢: ٤٠). هو كامل كإله، ومن ملئه نحن أخذنا لأنه يمنح العطايا الروحية للقديسين. فهو نفسه الحكمة و معطى النعمة. فكيف ينمو الصبى، وكيف يمتلئ من الحكمة والنعمة؟ هذه هى التعبيرات المختلفة التى تتحدث عن إله متأس وتصفه بصفات إنسانية بسبب الاتحاد الكامل، كما أنه يوصف أيضاً بأنه معطى النعمة والحكمة كإله (ص ٥٣، ٥٤).

- وهو يدعى البكر، والإبن الوحيد. وأيضاً قيل عنه أنه قدس بالروح، وأنه أيضاً يقلس كل الذين يأتون إليه.
- إعتد حسب الجسد ولكنه يعمد بالروح القدس كل الذين يأتون إليه.
- أقام الموتى ولكنه أقيم من الموت.
- هو الحياة بطبيعته ولكن أحيى.
- هو نفسه اشترك فى الصلاة معنا، إذ قال أنتم تسجدون لمن لاتعلمون، ولكننا نسجد لمن نعلم. وهو عبد معنا لأنه أخذ الطبيعة التى تسجد، لكن إليه أيضاً تقدم العبادة لأنه الله.

وعندما تحدث عن ميلاد مخلصنا فى الجسد، كتب فى تفسيره للإنجيل حسب

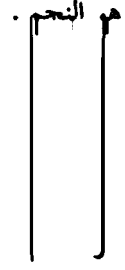
القديس لوقا، مايلى:

ربما يعترض أحد فيقول: إن الذى ولد الآن كان طفلاً، وكان ملفوفاً بأقماط ومضطجعاً فى مذود، فكيف نقول أن تسبحة القوات العلوية كإله؟ ورداً على هذا الاعتراض نقول بجسم: إن الله صار فى شكل منظور مثل شكلنا. رب الكل فى شكل عبد، ومع ذلك فإن بجمد الربوبية غير منفصل عنه. لذلك فحينما ترى الطفل ملفوفاً بالأقماط لا تركز فكرك على ميلاده فى الجسد فقط، بل إرتفع إلى تأمل مجده الإلهى، إرتفع بعقلك عالياً، أصدد إلى السماء، وهكذا سوف تنظره فى أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق سوف تراه "جالساً على عرش عال ومرتفع" (أش ٦: ١) وسوف تسمع السرافيم يمجده بتسابيح، ويقولون أن السماء والأرض مملوءتان من مجده، نعم حتى على الأرض حدث هذا، لأن مجد الله أضاء على الرعاة. كثيرون قد ولدوا على مر الأزمنة ولكن لم يمجدوا واحداً منهم بأصوات الملائكة. أما المسيح فلم يكن هكذا، لأنه إله ورب وهو مُرسَل الأنبياء والقديسين. نحن بطبيعتنا عبيد أما المسيح فهو الإبن الحقيقى، أى أنه إبن الله الأب بالطبيعة حتى حينما صار جسداً" لأنه إستمر على ما كان عليه منذ الأزل رغم أنه أخذ ما لم يكن له (الجسد). وأشعياء النبى يؤكد هذا عندما يقول: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل زُبدأ وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أو يختار الشر

هو يفضل الخير. لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يميز الخير والشر فهو لا يطيع الشر بل يختار الخير (أش ٧: ١٤ - ١٦ أس). أليس واضحاً للجميع أن الطفل حديث الولادة لا يستطيع بسبب صغره وضعفه، أن يفهم أى شئ. وهو غير كفء بعد للتمييز بين الخير والشر، لأنه لا يعرف شيئاً على الإطلاق. أما فى حالة المسيح مخلصنا فقد أكل الزبد والعسل رغم أنه كان لا يزال طفلاً. ولأنه كان لها وصار جسداً بطريقة تفوق الفهم، فإنه عرف الخير فقط، وكان مزهاً عن الفساد الذى فى الشر. وهذه أيضاً صفة للجوهر الفائق، لأن ما هو صالح بالطبيعة هو خاص به بشات وبغير تغيير، وهو خاص به وحده "ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" لو (١٨ : ١٩) كما قال مخلصنا نفسه.

أتريد أن تعرف فضيلة أخرى لهذا الطفل؟ أتريد أن تعرف أنه بالطبيعة إله، ذلك الذى ولد فى الجسد من امرأة؟ أنظر ما يقوله أشعياء النبى عنه "فاقتربت إلى النبية فحبلت وولدت ابناً. فقال لى الرب: أذع اسمه "أسرع وأسر وأتلف بسرعة" (١ اش ٨ : ٣ - ٤)، لأنه فى نفس توقيت ميلاد المسيح أتلفت قوة الشيطان. لأنه فى دمشق كان الشيطان موضوع الخدمة الدينية، وكان له هناك عابدون، ولكن حينما ولدت العذراء القديسة إنكسرت قوة طغيانه، إذ أن الوثنيين أُنْجذبوا إلى معرفة الحق وكان باكورهم وقادتهم

المجوس الذين جاعوا من المشرق إلى اورشليم ، الذين كان معلمهم هي السماء وأستاذهم



لذلك لا تنظر إلى المضطجع في المنود على أنه مجرد طفل ، بل في فقرنا أنظر ذلك الذي هو غنى كإله ، وفي مستوى بشريتنا أنظر ذلك الذي يفوق سكان السماء ، ولذلك فإنه بمجد من الملائكة القديسين "المجد للة في الأعلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة" (ص ٣٤ - ٣٨).

وفي رسالته الأولى التي أرسلها القديس كيرلس إلى رهبان مصر ، كتب الاتي :
من هو هذا الذي " إذ كان في صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله ؟ أو بأية كيفية أخلى نفسه ؟ وكيف نزل إلى الإبتضاع وفي صورة عبد ؟ . هناك البعض يقسمون الرب يسوع المسيح الواحد إلى إثنين :أى إلى إنسان وإلى الكلمة الذى من الله الاب ، وهم يقولون أن المولود من العذراء القديسة إحتمل الإخلاء . أنهم يفصلون بين الكلمة الذى من الله وبين المولود من العذراء . دعهم يبرهنون على أنه (أي الذى من العذراء) فى الشكل والمساواة يعتبر من الآب وذلك لكيما يحتمل كيفية الإخلاء . وهو الوضع الذى لم يكن مقيماً فيه . ولكن لا يوجد مخلوق - إذا أعتبر بحسب طبيعته الخاصة - يكون مساوياً للآب ، فكيف إذن يقال عنه أنه قد أخلى نفسه ، إن كان هو إنساناً بحسب طبيعته ولد مثلنا من امرأة ؟ أغير عن طبيعة التفوق العالى الذى هو أعظم من الإنسان والذى نزل منه ليصير إنساناً ، أو كيف يمكن أن يعتبر أنه أتخذ صورة عبد لم تكن له من البداية ، وهو الذى بالطبيعة ينتمى إلى فئة العبيد ويخضع تحت نير العبودية .

ولكنهم يقولون أن ذلك الذى هو بالطبيعة والحقيقة الإبن الحر ، الكلمة الذى من الله الآب ، و هو فى صورة الذى ولده ومساو له ، قد حل فى إنسان مولود من امرأة ، وأن هذا هو الإخلاء و حقيقة الإبتضاع وإذلال النفس فى صورة عبد . وأكثر من ذلك هل يكون ، يا أصدقاى الأجزاء الحلول وحده للكلمة الذى من الله فى إنسان ، كافيا له لإخلاء نفسه؟ وهل هو سليم أن نقول إنه بذلك يكون قد لبس صورة عبد ، وأن هذا يكون بالنسبة له هو كيفية إبتضاعه رغم أنه يقول ، كما أسمع ، للرسل القديسين "إن أحببني أحد يحفظ كلمتي ، ويحب ابني ، وإليه تأتي ونصنع منزلاً" . هل تسمعون كيف يقول إنه هو والله الآب سوف يصنعان منزلاً فى أولئك الذين يحبونه؟ لذلك هل نوافق على أن الله الآب أخلى نفسه وأنه إحتمل إخلاء لنفسه مماثلاً لإخلاء الإبن وأنه أخذ صورة عبد ، بسبب أنه يجعل النفوس المقدسة لأولئك الذين يحبونه منازل خاصة؟

وماذا عن الروح القدس الساكن فينا؟ هل هو مكمل تدبير التأنس الذي نقول أنه تم بواسطة الابن وحده لأجل خلاص الناس وحياتهم؟ فلنبعد مثل هذا التطرف المتهور والذي بلا معنى بالمرّة .

ثم يقول القديس كيرلس :

لذلك فالكلمة الذي كان في صورة اللة الآب ومساوياً له ، جعل نفسه في حالة وضيعة حينما صار جسداً ، كما يقول يوحنا و ولد من امرأة . و إذ كان له ميلاد عن الله الآب ، فانه أيضاً ولد مثلنا واحتمل ان يتألم من أجلنا (رسائل القديس كيرلس - ترجمة : دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحي عبد الشهيد - الجزء الثاني - مركز دراسات الاباء - ١٩٨٩ ص ١٤ - ١٦) .

٢- التجسد والطبيعة الواحدة :

* في شرحه لقول الرسول يوحنا " والكلمة صار جسداً " يقول القديس كيرلس :

معنى هذه الكلمات لا يريد عن قوله " والكلمة صار إنساناً " . لأنه غالباً ما نسمى الإنسان كله "جسد" كما جاء في النبي يؤئيل " سأسكب من روحي على كل جسد " (يؤئيل ٢ : ٢٨) ، ولأننا ندرك الكل عن طريق الجزء يسمى الإنسان جسداً ، ولا يوجد ما يدعو للإفتراض أن تسمية الإنسان "جسد"، تعني عدم وجود النفس . عندما قال الإنجيلي "الكلمة صار جسداً" ، كان يقصد الجانب الذي تأثر أكثر من غيره في الإنسان ، لكسي نرى في وقت واحد الجرح والدواء ، المريض و الطبيب ، ذاك الذي سقط تحت قبضة الموت والذي يقيم للحياة ، ذاك الذي ساد عليه الفساد و الذي طرد الفساد ، ذاك الذي أمسك به الموت والذي هو اسمي من الموت ، ذاك الذي له عدم الحياة و ذاك الذي هو واهب الحياة .

ولم يقل الإنجيلي أن الكلمة جاء إلى الجسد مثلما فعل في القديم عندما جاء إلى الأنبياء والقديسين واشتركوا فيه ، وانما ما يعنيه الإنجيلي أنه صار جسداً ، أي صار إنساناً ، ولكنه هو الله بالطبيعة وهو في الجسد ، وجعله جسده هو دون أن يفقد لاهوته . فهذا هو إعتقادنا لأننا نعبده وهو في الجسد حسب ما هو مكتوب في أشعيا " الرجال ذو و القامة سوف يأتون إليك ولك يكونون . سوف يأتون مقيدين بسلاسل وسوف يخرون أمامك ويتوسلون إليك ، لأن الله فيك ولا إله آخر سواك " (اش ٤٥ : ١٤ س) وها هو يقول إن الله فيه ، لأنه لا يفصل الكلمة عن الجسد ، وأيضاً إنه لا يوجد إله آخر سواه ،

أى الذى إتحد بالجسد ، هيكله الذى أخذه من العذراء ، لأنه مسيح واحد من إنسين .
(شرح إنجيل يوحنا - الجزء الأول ص ١٣٠ ، ١٣١).

* وفى كتابه "المسيح واحد" يقول القديس كيرلس :

+ الكلمة ، الإبن الوحيد الإله الذى ولد من الله الاب ، الذى هو " بهاء مجده ورسم
جوهرة (أقنومه) عب (١:٣) ، هو الذى صار جسدا دون أن يتحول إلى جسد ، أى بلا
إمتزاج أو اختلاط أو أى شىء آخر من هذا القبيل ، بل " أخلق ذاته " وجاء إلى فقرنا ،
فجعل جسد البشر جسده ، وبنفس إنسانية عاقلة ، وليس كما يقول البعض إنه جسد بلا
نفس . ولد مثلنا دون أن يفقد ما يخصه . ولأنه أصلا إله ، قيل عنه أنه " فى شبة الناس "
(فى ٢:٨) . فالله الذى ظهر فى شكلنا وصار فى صورة العبد هو الرب ، ولذلك نقول إن
العذراء القديسة والدة الإله . (ص ٢١).

+ كيف يمكن أن نشرح هذه الكلمات ' يشبه إخوته فى كل شىء (عب ٢:١٧) ، إلا إذا
إعتدنا أن له طبيعة مختلفة عن طبيعتنا ثم صار بعد ذلك مثلنا . فالذى يصير مثل آخرين
هو أصلا وبعده تأكيد مختلف عنهم وله طبيعة مختلفة . فالإبن الوحيد له طبيعة مختلفة عن
طبيعتنا ، ولذلك فقط قيل عنه أنه صار مثلنا أى صار إنسانا . وهذا حدث وتم بطريقة
واحدة فقط عندما ولد من امرأة مثلنا ، لأن الذى تجسد هو الله (ص ٣١ ، ٣٢) .
+ يفسر المراهقة سر التقوى بدون فهم لأنهم يقولون : ان الله الكلمة قد اتخذ ناسوتا
كاملا من سبل ابراهيم وداود ، وهو لا يختلف عن كل البشر الذين جاء هو من نسلهم .
وولد من امرأة تحت الناموس لكي يفتدى الذين تحت الناموس (غلا ٤ : ٤ ، ٥) . تمت بينه
وبين لاهوت الإبن الكلمة مصاحبة . فأعده لكي يتألم - كما يتألم البشر - وأقامه من
الأموات وأخذ معه إلى السموات وأجلسه عن يمين الله . وهو هناك الآن فوق كل رئاسة
وسلطان وقوة وسيادة ، وكل إسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط ، بل وفى الدهر الاتسى
أيضا" (١ف ٢٠: ٢٢-٢٣) . وهو يقبل العبادة التى تقدم له من كل الخليقة لأنه التصق
بالطبيعة الإلهية ، بدون إفتراق ، ولذلك تقدم له الخليقة العبادة ولكن بطريقة غير مباشرة .
ويقول المراهقة أيضا: لا يوجد إبنان ولا ربان ، بل حيث إن الله الكلمة والإبن الوحيد
للأب اتصل به هذا الإنسان المولود من مريم ، صار هذا الإنسان يشترك فى الإسم وفى
كرامة الإبن ، أما الله الكلمة فهو يشاركه فى كرامة الربوبية فقط ، ويؤكدون قائلين:
لا يوجد إبنان ولا ربان ، لأن الذى هو بالطبيعة الرب والإبن - من أجل خلاصنا - اتصل
به إتصالا ، لا إفتراق فيه ، أى أنه يحسب مع الإبن الوحيد فى إسم وكرامة النبوة والربوبية

ويرد القديس كيرلس على رأى هؤلاء المهرطقة فيقول :

* إنه إختراع مضاد للإيمان ومضاد للتعليم الإلهي المقدس الذى سلم إلينا مرة والذى نعترف به قائلين: نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله. الكلمة الذى من الآب الذى هو نفسه تجسد وهو نفسه إله وإنسان، وله وحده ما يخص الله وما يخص الإنسان. هو الكائن منذ الأزل لأنه الله الذى جاء وولد فى الزمان جسدياً من امرأة، للواحد نفسه الأزلية و هو نفسه الذى فى اخر الزمن ولد حسب الجسد. وهو نفسه بالطبيعة قدوس كإله ، ولكنه تقلس معنا عندما صار إنسانا . واليه كإنسان يمكن أن ننسب التقديس . (ص ٣٨).

* إن تعليم المهرطقة قد حول سر التدبيرأى التجسد إلى ما هو عكس التجسد تماما، لأننا لانرى الكلمة الذى بطبيعته الله، والذى ولد من الله الاب ، قد قبل الإخلاء وأخذ شكل العبد ووضع نفسه، بل نرى العكس وهو أن إنسانا قد ارتفع بواسطة المصاحبة إلى مجد الألوهية الفائق وأخذ مكانة الله وارتفع وجلس مع الآب فى الأعالي (ص ٣٩).

* واذا قالوا "ليسا إبنين بل ابن واحد يجلس مع الآب" فمن هو ذاك؟ هل هو الذى من نسل داود أم الواحد مع الآب فى الجوهر؟ هل هو المخلص أم مجرد مثال للإستعلاء والتعدى الإنسانى على المجد الإلهى ويقى رغم كل ذلك مجرد إنسان به خلصنا؟ (ص ٣٩).

* كيف يكون سر التقوى عظيما ومستحقا للإعجاب إذا كنا نؤمن بإدعاءات المهرطقة بأن إنسانا قد اتصل بشكل غارض (بطريقة غير جوهرية) بالله الكلمة ثم مات وقام وصعد إلى السموات. هذا ليس تعليما مسيحيا بل نوع من الخرافات اليونانية القديمة (أى تأليه أبطال الحروب والملوك). ولذلك إذا لم يكن الإبن هو الله المتحد بالناسوت بل حدث مجرد إتصال بين الكلمة وإنسان، ثم كافأ الإبن بعد ذلك هذا الإنسان الذى اتصل به وأعطاه عرش الألوهية حيث يقف لخدمته الملائكة ورؤساء الملائكة والساروفيم، وهؤلاء أعلى فى الرتبة من الإنسان الذى كافأه الإبن بعرض الألوهية، فهل يليق أن يقف هؤلاء لخدمته وهو ليس الإبن الإله الحقيقى، بل مجرد إنسان صار غنيا بسبب إسم البنوة الذى ناله واشترك فيه وهو أصلا ليس له بل هو مثلنا نحن الذين أخذنا نصيبا فى الكرامة الإلهية؟. إن ما يتاله المخلوق كنعمة يمكن أن يفقده ، وما يهرب من الخارج وليس له أصل فى الطبيعة المخلوقة قابل للضياع ، لماذا يتلون كرامة التدبير إلى شئ بلا قيمة و بلا فاعلية ؟ لماذا يجعلون الخدمة الإلهية المقدسة (القداس) هى عبادة إنسان بسيط مثلنا أخذ كرامة من الإبن الحقيقى . هل يرغب هؤلاء فى إقناعنا بأن نعبد واحدا مثلنا ليس له سوى صلة عارضة بالإبن الكلمة ؟ وهل هذا يعتبر فوق كل رئاسة وسلطان و ربوبية ؟

لقد تجسد الكلمة فعلا ولم يتصل بإنسان من نسل داود ، بل هو بذاته صار إنسانا ، ولم يحدث أن الكلمة اتصل بآخر وأعطاه صورة الألوهية بشكل عارض دون أن تكون

الألوهية الحقيقية . ألا يصبح هذا المخلوق إلها جديدا له بماء اللاهوت فقط ، بل قد أضيف إلى الثالوث الواحد في الجوهر وهو في الحقيقة له طبيعة مخلوقة ومختلفة وغير مساوية لللاهوت . وكيف يصبح هذا الذي له علاقة ، يعبد مع الطبيعة الإلهية ، بل يشترك معها في المجد الذي يقدم لها من المخلوقات ؟ (ص ٣٩-٤٣) . كيف يصبح من هو ليس إلها مركز العبادة ؟ يقول صاحب المزامير 'نفسى قد التصقت بك ، (مز:٨٣:٦٣) ، والرسول بولس يكتب ' من إتصق بالرب فهو روح واحدة، (١ كو ١٧:٦) ، فهل يمكن أن يصبح داود أو أى واحد منا مركزا للعبادة ، وأن نعبدهم لمجرد أنه توجد " إشارة " بأنهم التصقوا بالله ؟ وكلمة " التصق " لها معنى أعمق وأكثر قوة من " إتصل " لأن الإلتصاق يعنى علاقة مباشرة . لماذا نسقط كلمة "إتحاد" وقد استخدمها الآباء القديسون ، وإذا كان الأباء لم يستخدموا كلمة "صلة" مطلقا، فلماذا نستخدمها نحن؟. وعندما يرفض المراطقة "الإتحاد" ويسمون الإتحاد "صلة" ، فهم يتحدثون عن البشر الذين توفرت لهم علاقة بالله ، فالكل يجتمع في الله بالفضيلة والقداسة. والتلميذ يمكن أن يقال أنه يجتمع ويتصل بمعلمه عن طريق محبة التعليم. ونحن أيضا يتصل كل منا بالآخر بعدة طرق مختلفة مثل الذي يعمل مساعدا لشخص آخر ، فهو متصل بهذا للآخر بحسن النية والإرادة الصالحة بالذى طلبه كمساعد . فكلمة "صلة" معنوية وقد اخترعها المراطقة لأنها تخدم تعليمهم عن الله الكلمة الذى إتصل وأتخذ إنسانا وجعله إبننا وأقامة 'مساعدنا، ينفذ إرادته لاسيما فى الموت والقيامة ، وبعد ذلك يصعد هذا المساعد إلى السموات عينها ويجلس على العرش الإلهى غير الموصوف. ألا يقضى هذا الشرح على التجسد ، وألا يعتبر الكلام عن مساعد له صلة بالكلمة هو دعوة إلى اعتباره آخر غير الإبن المتجسد الذى هو بالطبيعة إبن الله؟ (ص ٤٢-٤٥).

* إن من يأخذ شيئا يصبح هذا الشيء ملكا له. وهكذا بالنسبة للإبن، عندما تجسد إتحدا بما أخذه إتحادا بلا إفتراق. لذلك يسوع هو الإله و الإبن الواحد الوحيد ، إله حق لأنه الكلمة الذى من الله الاب والمولود منذ الأزل وقبل كل الدهور . وفى الأيام الأخيرة ولد هو نفسه من امرأة ميلادا جسديا، ولم يكن آخر الذى ولد وإنما هو ذاته الذى كانت له صورة البعد عندما تجسد.

وكيف يمكن أن يقال عن من هو خاضع فعلا كعبد أنه أخذ صورة عبد. أليس هذا تناقضا؟

واليس الصواب أن يقال أن الذى هو بالحقيقة حر، وجوهره فوق كل اشكال العبودية هو الذى أخذ صورة العبد؟ إنه يجب علينا أن نقول أنه هو الله المتجسد، وأنه هو فى نفس الوقت واحد من إثنين، فهو لم يتوقف عن كونه الله عندما تجسد، وفى نفس الوقت لم يرفض التدبير ويرذل الوضع الخاص بالإخلاء. علينا أن لا نقسم أو نفصل فى الاسماء حتى لا يصبح لدينا إثنان مفترقان، بل علينا أن نعتقد أنهما فى اتحاد بلا افتراق، لأن يوحنا يقول "الكلمة صار جسداً". ولا يعنى هذا أن الطبيعتين اختلطتا، لأن الطبيعة الإلهية لله الكلمة لا يمكن أن تتحول إلى ناسوت، أو أن الجسد يتغير إلى طبيعة الله الكلمة نفسه، ولكننا نقول: واحد هو الإبن وواحدة هى طبيعته رغم اعتقادنا بأنه أخذ جسداً ذا نفس عاقلة، لأن الناسوت صار ناسوته هو، فهو الله المتانس. اللاهوت غير الناسوت بل هما مختلفان تماماً وكل منهما له طبيعته وكيانه الخاص به، ولكن فى المسيح اتحدا بأسلوب لا يمكن التعبير عنه بدون إختلاط ولا تغيير بل بإتحاد يفوق الإدراك. ألا نقول أن أى انسان منا هو واحد، وله طبيعة إنسانية واحدة رغم أن طبيعته ليست بسيطة، وإنما مركبة من إثنين أى النفس والجسد، وهل يمكننا أن نفصل الجسد عن النفس المتحدة به ونقسم الواحد (الأقنوم) إلى اثنين، ألا نلقى بذلك وحدة الإنسان؟ وهذا ما نجد فى الكلام عن عمانوئيل نفسه. ولذلك بعد الإتحاد بالجسد، إذا قال أحد أنه الإبن الوحيد الإله الحق من الإله الحق، فإنه لا يعنى بذلك أنه منفصل عن الجسد أو أنه بلا جسد، وإذا قال أحد أنه انسان، فإن هذا لا يعنى أنه ليس الإله والرب (ص ٤٥ - ٥٠).

+ إن القول بطبيعة واحدة لا يتضمن أى احتمال للإختلاط أو الإمتزاج أو التفسير، ولا يعنى إمتصاص وذوبان الناسوت فى اللاهوت بسبب ضعفه. فكما أنه ليس مستحيلاً على الله أن يجعل الناسوت قادراً على أن يحتل خصائص اللاهوت. وقد سبق الله وأشار إلى هذا عندما قدم السر لموسى وأعطاه مثالا على التجسد، وذلك عندما جاء فى شكل نار مشتعلة فى العليقة دون أن تحترق، مما جعل موسى يندهش من المنظر. وقد كان احتمال أغصان العليقة ألسنة اللهب مثالا للسر الذى أعلن احتمال الناسوت ألوهية الكلمة، لأنه أمام إرادته لا يوجد شئ مستحيل (ص ٥٢، ٥٣).

+ إن رفض الإتحاد يعنى الاعتراف بإثنين ومسيحيين، ويعنى أن القول بتجسد الكلمة يصبح زائفاً ولا معنى له وبلا قيمة. ولا يمكن أن يدعى الكلمة الذى من الله الآب إبن داود بدون إتحاد. لكن الكلمات الصادقة تؤكد أن الإبن الوحيد الكائن هو ذاته وليس آخر ولد من نسل داود حسب الجسد. ان الكلمة الذى بالطبيعة والحق ولد من الآب أخذ لحماً ودماً وظل هو نفس الطبيعة وبالحق الإبن من الآب، لأنه واحد وليس آخر معه. هو الله الكلمة ومولود من نسل داود حسب الجسد (ص ٥٧، ٥٨).

+ عندما نقول أن كلمة الله إتحد بطبيعتنا ، فإن كيفية هذا الإتحاد هو فوق فهم البشر . وهذا الإتحاد مختلف تماماً عن الأنواع الأخرى من الإتحاد . لكن إذ طلب منا أن نحدد

كيفية إتحاد اللاهوت والناسوت ، نقول أنه من اللائق أن نعتقد ان اتحاد اللاهوت بالناسوت في عمانوئيل هو مثل إتحاد نفس الانسان بجسده . والنفس تجعل الأشياء التي للجسد هي لها رغم أنها (أى النفس) بطبيعتها لا تشارك الجسد آلامه المادية الطبيعية أو الآلام التي تسببها للجسد الأشياء التي هي خارج الجسد . لأن الجسد عندما يتحرك مدفوعاً نحو رغباته الطبيعية (الجسدية) فإن النفس التي فيه تعرف هذه الرغبات بسبب إتحاد النفس بالجسد ، لكنها (النفس) لا تشارك الجسد رغباته ، ومع ذلك تعتبر أن تحقيق الرغبة هو تحقيق لرغباتها هي (النفس) . فإذا ضرب الجسد أو جرح بالحديد مثلاً ، فإن النفس تخزن مع جسدها ، ولكن بطبيعتها لا تألم بالآلام المادية التي تقع على الجسد ، ومع هذا يلزم أن نقول أن الإتحاد في عمانوئيل هو أسمى من أن يشبه باتحاد النفس بالجسد . لأن النفس المتحددة بجسدها تخزن مع جسدها ، وهذا حتمي ، حتى إنما عندما تقبل الموان تتعلم كيف تخضع لطاعة الله . أما بخصوص الله الكلمة ، فإنه من حماقة القول أنه كان يشعر - بلاهوته - بالإهانات لأن اللاهوت لا يشعر بما نشعر به نحن البشر . وعندما اتحد بجسد له نفس عاقلة وتألم لم يتفعل - اللاهوت - بما تألم به ، ولكنه كان يعرف ما يحدث له ، وابدأ كإله كل ضعفات الجسد ، رغم أنه جعلها ضعفاته هو ، فهى تخصص جسده ، لذلك (بسبب الإتحاد) قيل عنه أنه عطش وتعب وتألم لأجلنا . ولذلك فإن إتحاد الكلمة بطبيعتنا البشرية يمكن على وجه ما أن يقارن بإتحاد النفس بالجسد ، لأنه كما أن الجسد من طبيعة مختلفة عن النفس ، لكن الإنسان واحد من اثنين (النفس والجسد) ، هكذا المسيح واحد من الأقنوم الكامل لله الكلمة ومن الناسوت الكامل . والألوهية نفسها والناسوت نفسه في الواحد بعينه الأقنوم الواحد . وكما قلت إن الكلمة يجعل آلام جسده آلامه هو ، لأن الجسد هو جسده وليس جسد اخر سواه ، هكذا يمنح الكلمة جسده كل ما يخص لاهوته من قوة حتى أن جسده قادر على أن يقيم الموتى ويربئى المرضى (شرح بجسد الإبن الوحيد ص ١٨ - ٢٠)

+ يمكننا أن نرى أيضاً الجمره مثلاً لكلمه الله المتحد بالطبيعة البشرية دون أن يفقد خواصه ، بل حول ما أخذه (الطبيعة البشرية) وجعله منحداً به ، بل بمجده وبعمله ، لأن النار عندما تتصلب بالخشب تستحوذعليه لكن الخشب يظل خشباً .. فقط يتغير إلى شكل النار وقوتها ، بل يصبح له كل صفات النار وطاقتها ويعتبر واحدا معها . هكذا أيضاً يجب أن يكون إعتقادنا في المسيح ، لأن الله أتحد بالإنسانية بطريقة لا ينطق بها . ولكنه ابقى على خواص الناسوت على النحو الذى نعرفه . وهو نفسه لم يفقد خواص

اللاهوت عندما اتحد به (بالناسوت) بل جعله واحداً معه . وجعل خواص (الناسوت) خواصه ، بل هو نفسه قام بكل أعمال اللاهوت فيه (في الناسوت) . (المرجع السابق ص ٢٠ ، ٢١) .

+ وفي الرسالة الرابعة ، وهى الرسالة الثانية الى نسطور ، يقول القديس كيرلس :
التجسد يعنى ان الكلمة الذى من الله تأنس . ونحن لا نقول ان طبيعة الكلمة تغيرت حينما صار جسداً وايضا لا نقول ان الكلمة قد تغير الى انسان كامل من نفس وجسد ، بل بالأحرى نقول ان الكلمة قد وحد مع نفسه اقنوميا ، جسداً محيا بنفس عاقلة ، وصار إنساناً بطريقة لا يمكن التعبير عنها أو ادراكها . . وهو قد دعى ابن الإنسان ليس بحسب الرغبة فقط ولا بحسب الإرادة الصالحة ، بل أيضاً ليس باتخاذ شخصاً معيناً . ونحن نقول إنه على الرغم من أن الطبيعتين اللتين إجتمعتا معاً في وحدة حقيقية مختلفتان ، فإنه يوجد مسيح واحد وابن واحد من اثنين . إن إختلاف الطباع لم يطل بسبب الإتحاد بل بالحرى فإن هذا الإتحاد الذى يفوق الفهم والوصف كون لنا من اللاهوت والناسوت رباً واحداً يسوع المسيح وإبناً واحداً .

وهكذا ، فرغم أن له وجوداً قبل الدهور ، وقد ولد من الآب ، فإنه يقال أيضاً ولد حسب الجسد من امرأة ، كما أن طبيعته الالهية لا تحتاج لنفسها بالضرورة إلى ولادة أخرى بعد الولادة من الآب . ان القول بأن ذلك الذى هو موجود قبل كل الدهور وهو أزل مع الآب ، يحتاج إلى بداية ثانية لكى يوجد ، إنما هو أمر بلا غاية وفي نفس الوقت هو قول أحق . ولكن حيث إنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا وحد الطبيعة البشرية بنفسه اقنومياً وولد من امرأة ، فإنه بهذه الطريقة يقال إنه قد ولد جسدياً . لأنه لم يولد أولاً إنساناً عادياً من العذراء القديسة ثم بعد ذلك حل عليه الكلمة ، بل إذ قد إتحد بالجسد الذى من أحشائها فيقال أن الكلمة قد قبل الولادة الجسدية ، لكى ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص .

وهكذا فنحن نعترف بمسيح واحد ورب واحد ، ليس لإننا نعبد إنساناً مع الكلمة ، ولكننا نعبد واحداً هو نفسه الرب ، حيث إن الجسد لا يخص غير الكلمة الذى يتأخذه به يجلس عن يمين أبيه ، ليس كأبنتين يجلسا مع الآب ، بل كأبْن واحد متحد مع جسده الخاص ، وإذا رفضنا الإتحاد الأقنومى نسقط في التعليم بإبنتين .

إن الكتاب لم يقل إن الكلمة قدوحد شخصاً من البشر مع نفسه ، بل إنه صار جسداً . والكلمة إذ قد صار جسداً لا يكون آخراً . ولكن في إتخاذه جسداً ظل كما هو (ص ١٣ - ١٦) .

وقال القديس كيرلس في حرومه الاثني عشر ضد نسطور :

+ من لا يعترف أن الكلمة الذي من الله الآب قد اتحد بالجسد إقنوميا، وهو مع جسده

الخاص مسيح واحد ، وأنه هو نفسه بوضوح إله وإنسان معا ، فليكن محروماً .

+ من يقسم بعد الإتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين ، ويربط بينهما فقط بنوع من الإتصال حسب الكرامة ، إى بواسطة السلطة أو بالقوة ، وليس بالحرى بتوحيدهما الذى هو حسب الإتحاد الطبيعي فليكن محروماً .

+ من ينسب الأقوال التى فى الأناجيل والكتابات الرسولية ، سواء تلك التى قالها القديسون عن المسيح أو التى قالها هو عن نفسه ، إلى شخصين أى إلى أقنومين ، ناسباً بعضها كما إلى انسان على حدة منفصلاً عن كلمة الله ، وناسباً الأقوال الأخرى ، كملامة لله ، فقط إلى الكلمة الذى من الله الآب وحده ، فليكن محروماً .

+ من يتجاسر ويقول إن المسيح هو إنسان حامل الله وليس بالحرى هو الله بالحق ، والإبن الواحد بالطبيعة ، إذ أن الكلمة صار جسداً واشترك مثلنا فى اللحم والدم فليكن محروماً .

+ من يتجاسر ويقول إن الكلمة الذى من الله الآب هو إله وسيد للمسيح ، ولم يعترف بالحرى إنه هو نفسه إله وإنسان معاً ، حيث إن الكلمة صار جسداً حسب الكتب . فليكن محروماً .

من يقول إن الكلمة الله كان يفعل فى يسوع المسيح كإنسان، وأن مجد الوحيد قد نسب إليه كأنه آخر غيره (كما لو كان الوحيد منفصلاً عنه) فليكن محروماً .

+ من لا يعترف بالجسد الرب هو معطى الحياة وهو يخص الكلمة الذى من الله الآب ، بل يقول انه جسد لواحد آخر غيره وأنه مرتبط به بحسب الكرامة ، أى حصل فقط على حلول الهى ، ولا يعترف بالحرى أن جسده معطى الحياة كما قلنا لأنه صار جسد الكلمة الخاص به ، الذى يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء ، فليكن محروماً .

+ من لا يعترف أن كلمه الله تألم بالجسد (فى الجسد) وصلب بالجسد (فى الجسد) وذاق الموت بالجسد (فى الجسد) ، وصار من الأموات ، حيث إنه الحياة ، ومعطى الحياة كإله ، فليكن محروماً .

(الرسالة السابعة عشر ، وهى الرسالة الثالثة إلى نسطور ص ٣٥ - ٣٩) .

ثالثاً: القديسة العذراء والدة الإله

قال القديس كيرلس في كتابه " شرح تجسد الإبن الوحيد " :

+ ولد الكلمه من الله الآب بطريقة لا ندرکها . بل هي فوق مستوى الإدراك . لكنه في الزمان الأخير تجسد وولد من امرأة حسب الجسد . والذي حدث أنه أخذ من العذراء القديسة جسداً واتحد به إتحاداً حقيقياً . لذلك نعتقد أن العذراء القديسة هي والدة الإله ، لأنها ولدت حسب الجسد ، لكنه مولود في ذات الوقت من الآب قبل كل الدهور .

+ إذا كان هناك أحد ما يتجرأ أو يعلم أن العذراء مريم ولدت الطبيعة الإلهية غير الجسدانية ، فإن هذا هو الجنون بعينه لأن الطبيعة الإلهية ليست من تراب الأرض حتى تولد منه ، ولا تلك الخاضعة للفساد (أى العذراء) تصبح أما لعدم الموت ، ولا تلك الخاضعة للموت تلد الذى هو حياة الكل . ولا غير المادى يصبح ثمرة للجسد الذى بطبيعته خاضع للميلاد وله إبتداء في الزمان . الجسد لا يمكنه أن يلد الذى لا بداية له .

لكننا نؤكد أن الكلمة صار ما نحن ، واخذ جسداً مثل جسدنا واتحد به إتحاداً حقيقياً بطريقة فوق الإدراك والتعبير ، وأنه تأنس وولد حسب الجسد . ألا تولد النفس البشرية وهي من طبيعة مختلفة عن الجسد ، لأنها متحدة به ، ولا أظن أن احداً سيفترض أن النفس لها طبيعة الجسد أو أنها تتكون معه ، وإنما الله بطريقة غير معروفة يفرسها في الجسد وتولد معه . ولذلك نحن نخدد أن الكائن الحى الواحد المولود هو من اثنين . وهكذا الكلمة هو الله لكنه تجسد ، وأيضاً ولد حسب الجسد وبطريقة بشرية ، لذلك تدعى التى ولدتها ، والدة الإله (ص ٤٣ - ٤٥)

وقال القديس كيرلس في رسائله (ترجمة دكتور موريس تاوضروس ، ودكتور نصحي عبد الشهيد) :

+ حيث إن العذراء القديسة ولدت جسدياً، الله متحداً بالجسد حسب الأقسام ، فنحن نقول إنها والدة الإله ، ليس أن طبيعة الكلمة تأخذ بداية وجودها من الجسد ، لأنه (أى الكلمة) كان في البدء ، والكلمة كان الله . وكان الكلمة عند الله " يو ١ : ١ " وهو نفسه خالق الدهور ، وهو أزلى مع الآب وخالق كل الأشياء . لأنه كما قلنا سابقاً، إنه إذ وحّد الإنساني بنفسه أقنومياً ، فإنه إحتمل الولادة الجسدية من بطنها . وإذا قد ولدتها امرأة

موحداً نفسه بالجسد فسوف ترفع اللعنة إذن عن كل الجنس البشري (الرسالة السابعة عشرة ، الجزء الأول ص ٣٤).

+ من لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة ، وبسبب هذا فالعذراء هي والدة الإله لأنها ولدت جسدياً الكلمة الذي من الله ، الذي تجسد (فليكن محروماً (الرسالة السابعة عشرة - الجزء الأول - ص ٣٥).

+ نعرف أن ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم ، وهو مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته ، وأنه هو نفسه في الأيام الأخيرة ، من أجلنا ومن أجل خلاصنا ولد من مريم العذراء بحسب ناسوته ، وهو نفسه من الجوهر نفسه الذي للآب (أو مع الآب) حسب لاهوته ، ومن نفس الجوهر الذي لنا (أو معنا) بحسب ناسوته ، لأنه قد حدث إتحاد بين الطبيعتين ، لأجل هذا نعرف بمسيح واحد ، ابن واحد ، رب واحد . وبحسب هذا الفهم للإتحاد بدون إختلاط ، نعرف بأن العذراء القديسة هي والدة الإله ، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس . ومنذ ذات الحمل به وحد الهيكل الذي أخذه منها ، مع ذاته . (الرسالة ٣٩ - ص ٤٣) .

+ ربما يقول أحد أن إسم " المسيح " لا يطلق فقط على عمانوئيل وحده ، بل سوف نجده يطلق على آخرين أيضاً ، لأن الله قال في موضع ما عن أولئك الذين أختبروا وتقدسوا بالروح " لا تمسوا مسحاتي ولا تسيئوا إلى انبيائي " مز ١٠٥ : ١٥ . وعلي ذلك فإن إسم المسيح يجب أن يطلق ليس فقط وبوجه خاص على عمانوئيل ، بل أيضاً على كل الباقين الذين يمسحون بنعمة الروح القدس . ولكن توجد هوة كبيرة واختلافات لا تقارن تفصل بين حالتنا وبين مجد وتفوق مخلصنا ، فإن كان جميع الآخرين هم مسحاء ، وهذا معقول جداً بسبب أنهم مسحوا ، أما المسيح وحده فهو الإله الحقيقي ، عمانوئيل - وبالحقيقة فإن أحداً لا يخطئ ، إن اختار أن يقول أن أمهات آخرين هم " والدات مسيح " ، ولكن ليسوا بأى حال " والدات إله " أيضاً . إن العذراء القديسة وحدها بالمقابلة مع أولئك النساء ، هي كما ندرکہا وندعوها ، والدة المسيح ووالدة الإله معاً ، لأنها لم تلد مجرد إنسان بسيط مثلنا ، بل بالحرى الكلمة الذي من الله الآب الذي تجسد وتأنس لأننا نحن أيضاً ندعى آلهة بحسب النعمة أما الإبن فليس لها على هذا النحو ، بل بالحرى هو إله بالطبيعة وبالحق ، حتى وإن قد صار جسداً .

+ ولكن ربما تقولون هذا : " قل لي إذن ، هل العذراء صارت والدة لاهوته ؟ . وردا على هذا نقول إن كلمه الله نفسه الحي ، الكائن بإقنومه ، ولد من جوهر الله الآب ذاته ، وان

الذى كان بلا بداية صار له بداية في الزمن وكان دائماً موجوداً مع الذى ولده وكائنا فيه وموجوداً معه ويشاركه في التفكير . في أزمنة الدهر الخيرة حينما صار جسداً ، أى حينما اتحد بجسد ذى نفس عاقلة ، قيل إنه ولد أيضاً جسدياً من امرأة . إن سر تجسده هو بكيفية ما ، مماثل لولادتنا ، لأن أمهات أولئك الذين على الأرض الخاضعات لقوانين الطبيعة فيما يخص الولادة ، لهم يثبت في الرحمة ، وهو الذى ينمو قليلاً بحسب أفعال الله غير المدركة ويصل الى النضوج في يثة إنسان . الله يرسل الروح في الكائن الحى بكيفية معروفة له، وهذا بحسب قول النبي " لأنه يجبل روح الإنسان في داخله " (زك ٢ : ١) .

إن لوغوس (كيان) الجسد واحد ، وكذلك فإن لوغوس (كيان) النفس آخر ، ومع ذلك فحتى لو كانت هؤلاء النساء هن فقط أمهات للأجساد التى من الأرض ، إلا أنهن يلدن الكائن الحى كله ، وأنا أعنى كائناً مكون من جسد ونفس ، ولا يقال عنهن أنهن يلدن جزءاً من الكائن ، ولن يقول أحد ان إصابات ، مثلاً ، كانت أمماً فقط لجسد ، وليست أمماً. ولدت نفساً في العالم الى جانب الجسد ، لأنها ولدت المعمدان إنساناً ذا نفس ، وكائناً حياً مكوناً من الإثنين ، وأنا أعنى إنساناً له نفس وجسد معاً .

إننا سنقبل أن شيئاً مثل هذا قد حدث في ولادة عمانوئيل ايضاً ، لأن كلمة الله الوحيد قد ولد من جوهر الله الآب . ولكن حيث إن الكلمة إتخذ له جسداً وجعله خاصاً به ، فإنه ايضاً حمل إسم ابن الإنسان وصار مثلنا . وإن رغب أحد أن يقول أن أم فلان هى أم لجسده فقط وليست أيضاً أماً لنفسه ، فإنه بذلك يفكر بغباء شديد ، لأن الكائن الحى يولد مكوناً بحذق من عنصرين غير متماثلين ، إلا أنه لإنسان واحد ، وكل عنصر منهما يظل كما هو . والإنان هما معاً كما في وحدة طبيعية واحدة ، كما لو كانا يفحصان أحدهما الآخر ، وكل منهما ينقل إلى الآخر ما هو خاص به (الرسالة الاولى ص ١٠ -

(١٤)

+ وفي رسالة القديس كيرلس إلى أكايوس ، كتب يقول :

لأنى أجد الأسقف المطوب الذكر أناسيوس ، كثيراً جداً في كتاباته ، يسمى العذراء والدة الإله . وابيننا المبارك ثيوفيلس وأساقفة آخرون كثيرون من القديسين فعلوا هذا أيضاً في أيامهم : باسيليوس وجرىغوريوس والمبارك أتيكوس نفسه . وليس أحد من الأساقفة المستقيمي الرأى كان يخاف أن يدعو العذراء والدة الإله ، إن كان من الحق أن عمانوئيل هو الله (الرسالة الرابعة عشرة ص ٦٤) .

+ وفي رسالته إلى إكليروس وشعب القسطنطينية . كتب القديس كيرلس :
تذكروا ايضاً ابائنا القديسين الذين مارسوا خدمة الكهنوت في وسطكم بإستقامة وقداسة

والذين حينما كانوا بالانبا يعقوب بن يوشع كانوا يدعون العذراء القديسة والدة الإله

لأنها ولدت عمانوئيل الذى هو الله الحق (الرسالة الثامنة عشرة ص ٧٤)

+ وفي رسالته إلى اكاكيوس أسقف ميليتيني ، كتب القديس كيرلس :

إننا نجد أن نسطوريوس قد أنكر تماماً ميلاد ابن الله الوحيد حسب الجسد ، لأنه يقول إنه لم يولد من امرأة حسب الكتب ، فهو يتكلم هكذا : تعلمت من الكتب الإلهية أن الله جاء من العذراء أم المسيح ، ولكن لم أتعلم في أى مكان أن الله ولد منها . وأيضاً في تفسير آخر يقول : لا يذكر الكتاب الإلهي في أى موضع أن الله ولد من العذراء أم المسيح ، بل يسوع ، الابن ، والرب . وحيث إنه يقول هذا ، فكيف يشك أى واحد أنه بقوله هذه الأشياء هو يقسم الابن الواحد إلى إثنين ، واحد منهما مأخوذاً على حدة يقول إنه هو ابن ومسيح ورب الكلمة المولود من الله الآب ، أما الآخر ، وأيضاً مأخوذاً على حدة ، يقول إنه ابن ومسيح ورب ولد من العذراء القديسة .

ولكن أولئك الذين يدعون العذراء القديسة والدة الإله ، يقولون انه ابن ومسيح ورب واحد ، كامل في اللاهوت وكامل في الناسوت ويرون أن جسده مهيأ بنفس عاقلة . لأن كونهم (أى أساقفة الشرق) لا يقولون ان هناك ابناً هو الكلمة الذى من الله الآب ، وآخر ايضاً الذى ولد من العذراء القديسة كما يعلم نسطوريوس ، بل بالحرى ابن واحد الذى هو نفسه ، يصير مؤكداً وواضحاً جداً حسب اللاهوت . وفي الأيام الأخيرة ، لأجلنا ولأجل خلاصنا ولد من مريم العذراء القديسة حسب ناسوته ، وأنه هو من الجوهر نفسه الذى للآب حسب لاهوته ، ومن الجوهر الذى لنا حسب ناسوته

ولكن عند نسطوريوس لا تلبو الأمور هكذا ، بل بالحرى فإن قصده قد تحول الى العكس تماماً . وفي الحقيقي إنه قال وهو يعلم في الكنيسة : " لهذا السبب أيضاً يسمى المسيح الله الكلمة من أجل أن له اتصال غير منقطع بالمسيح ، وأيضاً قال : فلنحفظ الإتصال غير المختلط للطبيعتين ، لأنه دعنا نتعرف بالله في الإنسان ، وبسبب الإتصال الإلهي دعنا نكرم الإنسان المعبود مع الله الكلى القدر .

لذلك أنتم ترونه كيف أن تفكيره غير معقول ، لأنه مملوء حتى النهاية بعدم التقوى . فهو يقول إن كلمه الله على حدة يسمى المسيح ، وله اتصال غير منقطع مع المسيح ، لذلك

ألا يقول هو بكل وضوح بمسيحين ؟ ألا يعترف أنه يكرم إنساناً - لست أعرف كيف - وهو الذى يعبد مع الله ؟
ألا يظهر أن أقواله هذه ليست لها علاقة بأقوال أساقفة الشرق ؟ أليست أفكاره متناقضة ، لأنه يقول بوضوح إنه يوجد إثنان ، أما هم فيعترفون أنهم يعبدون مسيحاً واحداً وإبناً وإلهاً ورباً ، وهو نفسه من الأب بحسب اللاهوت ومن العذراء القديسة بحسب الناسوت ، لأنهم يقولون أنه قد صار اتحاداً لطبيعتين ولكنهم يعترفون بوضوح بمسيح واحد ، إبن واحد ورب واحد ، لأن الكلمة صار جسداً حسب الكتب ، ونحن نقول : إن اتحاداً تدبيرياً بلا انفصال ويفوق التعبير قد تم حقاً بين أشياء غير متشابهة (رسالة ٤٠ ص ٤٧ - ٤٩) .

وعن بتولية العذراء القديسة ، كتب القديس كيرلس :
ولكن أولئك الذين يجادلون ويقولون ، إن كان هو قد جاء فى الجسد فتكون العذراء ، قد فسدت ، وإن لم تكن قد فسدت ، فإنه يكون قد جاء بطريقة خيالية فقط ، هؤلاء نقول لهم ان النبي يعلن ان الرب إله اسرائيل قد دخل وخرج ، والباب يظل مغلقاً " (خر ٤٤ : ٢) .
وايضاً ان كان الكلمة قد صار جسداً بدون تزواج جسدى ، إذ أنه حبل به بدون زرع بشر فإنه إذن ولد بدون أن تمس عذراويتها (تفسر إنجيل لوقا للقديس كيرلس الإسكندري - الجزء الأول - ترجمة دكتور نصحي عبد الشهيد - مركز دراسات الابهاء - ١٩٩٠ ص ٢٨) .

رابعاً : الخلاص

يقول القديس كيرلس في شروحه على الإنجيل للقديس لوقا :

+ المسيح الذى هو باكورة الجميع ، وهو ادم الثانى حسب الكتب ، قد ولد من الروح لكى ينقل هذه النعمة (نعمة الولادة الروحية) إلينا نحن أيضاً وقد أعد لنا نحن أيضاً أن لا نحمل فيما بعد اسم ابناء البشر ، بل بالأحرى نولد من الله وذلك بحصولنا على الميلاد الجديد من الروح الذى تم فى المسيح نفسه أولاً ، لكى يكون هو " متقدماً بين الجميع " (كو ١ : ١٥) . ويقول عنه بولس الحكيم جداً " متى أدخل البكر إلى العالم ، يقول ولتسبح له كل ملائكة الله " (عب ١ : ٦) ، فكيف إذن دخل إلى العالم ؟ لأنه منفصل عن العالم ، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة ، فإنه يختلف عن سكان العالم فى الطبيعة ، ولكن دخل الى العالم بأن صار إنساناً ، وبذلك صار جزءاً من العالم بالتحسد . ورغم أنه هو الابن الوحيد من جهة ألوهيته ، إلا أنه لكونه صار أحاً لنا ، فقد أصبح له إسم " البكر " ولكى يصير هو الباكورة لتبنى البشرية ، فإنه يمكن أن يجعلنا أيضاً أبناء الله . لذلك لاحظوا أنه يدعى البكر من جهة التدبير ، لأنه من جهة ألوهيته هو الابن الوحيد ، ولكنه يصير بكرًا بتنازله إلى مستوى المخلوقات . وقد دعى بكرًا " بين اخوة كثيرين بسبب أنه صار مثلنا فى كل شئ ما عدا الخطية ، ودعى " البكر من الأموات " لأنه هو الأول الذى أقام جسده إلى حالة عدم الفساد . هو البكر " لأجلنا نحن حتى عندما يدعى بكرًا للمخلوقات ، فإن كل من يشاهده يخلص بواسطته (ص ٢٨ - ٣٠) .

+ إن الإبر. الوحيد صار جسداً واحتمل أن يولد من امرأة من أجلنا ، لكى يطل اللعنة التى حكم بها على المرأة الأولى . تذكر ما كتبه بولس الحكيم جداً عنه " لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه لأنه كان ضعيفاً بالجسد ، فالله إذ أرسل إبنه فى شبه جسد الخطية ، ولأجل الخطية دان الخطية فى جسده ، لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ٣ ، ٤) . فما معنى قوله إن الابن أرسل فى شبه جسد الخطية ؟ هذا هو المعنى : أن ناموس الخطية يكمن مخفياً فى أعضائنا الجسدية مصاحباً لتحرك الشهوات الطبيعية المخجلة ، ولكن حينما صار كلمة الله جسداً ، أى إنساناً ، فاتخذ شكلنا فإن جسده كان مقدساً ونقياً نقاوة كاملة . وهكذا كان حقاً فى

شبه جسدنا ، ولكن ليس بنفس مستواه ، لأنه كان حراً من ذلك الميل الذى يقودنا إلى ماهو ضد الناموس (ص ٣٤ - ٣٥)

+ فالمسيح إفتدى من لعنة الناموس أولئك الذين بوجودهم تحت الناموس كانوا عاجزين عن تميم قوانينه . وبأية طريقة إفتداهم ؟ بتتيمم الناموس أو بعبارة أخرى : انه لكى يكفر عن ذنب معصية آدم ، فقد أظهر نفسه مطيعاً وخاضعاً من كل الوجوه لله الآب عوضاً عنه ، لأنه مكتوب " كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيحلل الكثيرون ابراراً (رو ٥ : ١٩) . لذلك فقد أحنى عنقه للناموس مشتركاً معنا ، لأن هذا ما استلزمته خطة الخلاص ، لأنه هكذا يليق أن يكمل كل بر . ولذلك حينما تراه يحفظ الناموس تأمل فى عمق تدبير الخلاص . فعند بلوغ اليوم الثامن ، الذى جرت العادة أن يتم فيه الختان فى الجسد بحسب أمر الناموس ، نجده يسمى بإسم يسوع الذى تفسيره يشير إلى خلاص الشعب ، لأنه هكذا أراد الآب أن يسمى ابنه حينما يولد بالجسد من امرأة ، لأنه عندئذ صار خلاص الشعب بنوع خاص ، وليس خلاص واحد فقط ، بل كثيرين ، وبالحرى كل شعب بل والعالم كله . إذن فقد أخذ إسمه فى نفس الوقت الذى ختن فيه . والمسيح قام من الأموات وأعطانا الختان الروحى لأنه أوصى الرسل القديسين قائلاً " إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الآب والابن والروح القدس " . ونحن نؤكد أن الختان الروحى يتم بصورة رئيسية فى وقت المعمودية المقدسة حينما يجعلنا المسيح مشتركين فى الروح القدس . وقد كان يشوع القديس إذ جاء بعد موسى مثلاً أيضاً لهذا ، لأنه قاد بنى إسرائيل أولاً عبر الأردن ، وبعد ذلك مباشرة ختنهم بسكاكين من صوان . هكذا نحن أيضاً حينما نعر الأردن فإن المسيح يحننا بقوة الروح القدس ، ليس لتطهير الجسد ، بل بالحرى لقطع النجاسة التى فى نفوسنا (ص ٤٠ ، ٤١) . لذلك ختن المسيح فى اليوم الثامن وأخذ إسمه ، لأنه حينئذ خلصنا بواسطته وفيه كما هو مكتوب " وفيه ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، يخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه (كو ٢ : ١١) ، لذلك فإن موته كان من أجلنا ، وهكذا أيضاً كانت قيامته وكان ختانه . انه قد مات حتى إتنا نحن الذين متنا معه فى موته لأجل الخطية ، لا نعود نحيا للخطية ولهذا السبب قيل " إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه " (٢تى ٢ : ١١) . وقد قيل إنه قد مات لأجل الخطية ليس لأنه قد أخطأ " لأنه لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه غش " (١ بط ٢ : ٢٢) ، بل بسبب خطيتنا . لذلك فقد متنا معه حينما مات هكذا أيضاً نقوم معه (ص ٤١ - ٤٢) .

+ كم هو عظيم وعجيب تدبير الخلاص . إنه كبير وذكور ، قدم زوج يمام أو فرخى حمام حسب أمر الناموس . واليمام هو أكثر طيور الحقل في إصدارها للأصوات . أما الحمام

فهو مخلوق هادئ ووديع . وهكذا صار محمص الحقل بالنسبة لنا مطهراً لكل وداعة ولطفاً من نحونا . وأيضاً مثل اليمام فإنه يهدئ العالم ، وبملاً حقله الخاص الذى هو نحن المؤمنين بنغم صوته الحلو ، لأنه مكتوب في نشيد الأناشيد " صوت اليمامة سمع في أرضنا " (نش ٢ : ١٢) ، لأن المسيح قد كلمنا برسالة الانجيل الإلهية التى هى لخلاص العالم كله (ص ٤٣ ، ٤٤) .

+ هل هناك شئ أحلى من أن نتعلم أن الله قد خلص العالم بواسطة ابنه وذلك بأن صار إنساناً مثلنا ، كما هو مكتوب " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح ، الذى بذل نفسه فدية لأجلنا " لأنه من تلقاء نفسه نزل الى فقرنا لكى يجعلنا أغنياء بحصولنا على ما هو له (ص ٤٥)

+ إن الله الآب قد سبق وأعلن بواسطة الانبياء والقديسين أن الإبن سيطهر في الوقت المعين ليخلص الذين هلكوا ولينير على الذين كانوا في الظلمة . وقد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين " برى يأتى سريعاً ورحمى تعلن وخلصى يتقد كمصباح " (اش ٦٢ : ١) ولكن الرحمة والبر هما المسيح ، لأن به حصلنا على الرحمة والبر ، إذ قد غسلنا من شرورنا الدنسة بالإيمان به . وكما يضى المصباح أمام أولئك الذين يسرون في الظلمة والليل ، هكذا صار المسيح لأولئك الذين في الآب والظلمة العقلية ، غارساً فيهم النور الإلهي ، ولأجل هذا السبب أيضاً صلى الأنبياء لئلا يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين " أرنا الرب رحمتك وأعطنا خلاصك " (مز ٨٥ : ٧) لذلك فالمسيح صار نور إعلان للأمم ، ولكنه صار أيضاً مجدداً لإسرائيل ، لأنه رغم أن البعض منهم تغطرسوا وعصوا وكانت لهم عقول لا تفهم إلا أنه كانت هناك بقية قد خلصت وأدخلت إلى المجد بالمسيح ، وبأكورة هؤلاء البقية هم التلاميذ الإلهيون الذين أشرق نور شهرهم لينير العالم كله (ص ٤٦ - ٤٨) .

+ وماذا يقول سمعان النبي عن المسيح ؟ " ها إن هذا الطفل قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ، وعلامة تقاوم " . أما العلامة التى تقاوم فيقصد بها الصليب الثمين الذى يقول عنه بولس الحكيم جداً أنه " عثرة لليهود وجهلة لليونانيين " (١ كو ١ : ٢٣) وأيضاً يقول عنه أنه " للهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله للخلاص " (١ كو ١ : ١٨) . لذلك فالعلامة التى تقاوم تبدو جهالة لأولئك الهالكين ، بينما هى خلاص وحياة للذين يعترفون بقوة الصليب (ص ٤٨ : ٤٩)

+ "ويصير كل جسد خلاص الله" أى الخلاص الذى من الآب لأنه أرسل ابنه لكى يكون مخلصاً لنا . وعبارة " كل جسد " يقصد بها الإنسان عموماً أى كل الجنس البشري ، لأنه هكذا سيصير كل جسد خلاص الله ، ليس إسرائيل فقط بل كل البشر ، لأن لطف المخلص رب الكل ليس له حدود ، وهو لم يخلص أمة واحدة فقط ، بل بالحرى احتضن العالم كله فى شبكته ، وقد أثار على كل الذين فى الظلمة . وفى نفس الوقت ، فإن بقية إسرائيل تخلص ، وذلك كما سبق أن أعلن موسى العظيم منذ القدم قائلاً " تهللوا أيها الأمم مع شعبه (ص ٦٠) .

بأية طريقة يتكاثر نسل ابراهيم ويكون الوعد الذى أعطاه له الله صحيحاً ؟ الجواب هو بدعوة الأمم ، لأنه قيل لابراهيم نفسه أنه " بإسحق يدعى لك نسل " (تك ٢١ : ١٢) ، وأيضاً " قد جعلتك أباً للأمم كثيرة " (تك ١٧ : ٤) . وعبارة " بإسحق " تعنى بحسب الموعد ، وهو قد جعل أباً للأمم كثيرة بالإيمان ، أى فى المسيح . والمعمدان المبارك . يدعو الأمم بوضوح " الحجاره " لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الذى هو بالطبع الله وعبادوا المخلوق بدل الخالق ، ولكنهم مع ذلك قد دعوا من الله وصاروا أبناء ابراهيم وبنائهم بالمسيح إترفوا بالذى هو بالطبيعة ونضيف المثل الوارد عن شجرة التين غير المثمرة ، فإن الله قطعها ، ومع هذا فهو لا يقول أن الفأس قد وضع فى أصل الشجرة بل على أصل الشجرة أى بالقرب من أصل لأن الأغصان قد قطعت اما الشجرة فلم تخلع من جذورها ، ذلك لأن بقية إسرائيل قد خلصت ولم تهلك بالمره (ص ٦٢ ، ٦٣) .

+ ويتحدث القديس كيرلس عن شريعة التطهير فى العهد القديم وإشارتها إلى سر المسيح وتدبير الخلاص ، فيقول :

كل من يريد أن يرى يمكنه أن يرى سر المسيح العميق والفاثق القدرة الذى كتب لمنفعتنا فى سفر اللاويين . لأن ناموس موسى يعلن أن الأبرص نجس ويأمره أن يخرج خارج المحلة كنجس . ولكن إذا زال المرض منه فإن الناموس يأمر السماح للمريض بدخول المحلقوبالأضافة إلى ذلك فإن الناموس يحدد بوضوح الطريقة التى تعلن بها طهارة الأبرص فيقول : هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره . يؤتى به الى الكاهن . ويخرج الكاهن خارج المحلة فإن رأى الكاهن وإذا ضربة البرص قد برأت من الأبرص يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران ... ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى ، أم العصفور الحى فإنه يغمسه فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى ويرش على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ، ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء " (لا ١٤ : ١-٧) . ، فالعصافير إذن عددها إثنان وكلاهما بلا عيب أى

طاهرين ، وهى بلا لوم من جهة الشريعة ، ويذبح أحدهما على الماء الحى ، أما الآخر فإذ ينحو من الذبح ، فإنه بعد ذلك يعمد فى دم العصفور الذى ذبح ثم يطلق حرأ . هذا المثال

يمثل لنا السر العظيم والمكرم الذى لمخلصنا ، لأن الكلمة كان من فوق ، اى من الأب من السماء ، ولهذا السبب من المناسب جداً أن يقارن بالطائر .

ويمكننا أن نرى فى العصفورين المقدمين فى تطهير البرص ، المسيح متألماً بالجسد حسب الكتب ولكنه يظل متعالياً على الآلام . " مماثلاً فى الجسد ولكن محى فى الروح " (١بط ٣ : ١٨) . ورغم أن الكلمة لا يمكن أن يقبل آلام الموت فى طبيعته الخاصة ، إلا أنه ينسب إلى نفسه ما تألم به جسده . العصفور الحى يعتمد فى دم العصفور الميت . وهكذا إصطبغ بالدم ، وإذ صار مشتركاً فى الآلام ، فإنه أطلق حرأ الى الصحراء . وهكذا أيضاً رجع كلمة الله الوحيد إلى السماء مع الجسد الذى إتحد به . وكان منظرأ غريباً جداً فى السماء وجموع الملائكة دهشت حينما رأت ملك الأرض ورب القدرة مثلنا فى الشكل وقالوا " من ذا الآتى من أدوم - ويعنون بذلك الأرض - بثياب حمر من بصرة " (اش ٦٣ : ١) . وتفسير بصرة هو جسد . ثم سأله ما هذه الجروح فى يديك ؟ فأجاب هى التى جرحت بها فى بيت أجبائى " (زك ١٣ : ٦) ، فكما انه بعد دعوته الى الحياة من الموت ، أمر توما أن يلمس آثار المسامير والفتحة التى فى جنبه ، هكذا أيضاً حينما وصل الى السماء ، أعطى برهاناً كاملاً للملائكة بالدم ، والجروح فى يديه ، ليس لأنه لا يستطيع أن يلاشى الجروح ، لأنه حينما قام من الموت أبطل الفساد وأبطل معه كل علاماته وصفاته لذلك إحتفظ بآثار الجروح لكى تعلن حكمة الله المتنوعة التى صنعها فى المسيح ، فتعترف الآن عند الرؤساء والسلاطين بواسطة الكنيسة بحسب خطة الخلاص (١١٧ - ١١٩) .

هكذا كان الناموس رسماً ومثالاً لحقائق آتية . فرغم انه كان هناك عصفوران ، إلا أن الذى كان يشير إليه العصفوران هو واحد فقط ، كمتألم وكحمر من الألم ، كماتت وكمن هو فوق الموت ، وصاعد الى السماء كباكورة ثانية للطبيعة البشرية المتحدة فى عدم فساد . لأنه صنع لنا طريقاً جديداً الى ما هو فوق ، ونحن سوف نتبعه حينما يجين الوقت . فذبح أحد العصفورين بينما العصفور الآخر يعتمد فى دم المذبوح ويظل هو حرأ من الذبح ، كان هذا إشارة إلى ماسيحدث حقيقة ، لأن المسيح مات لأجلنا ، ونحن الذين إعتمدنا لموته قد خلصنا بدم نفسه (ص ١٢١) .

+ وفى شرحه للإنجيل حسب القديس يوحنا ، يشير القديس كيرلس إلى الامور الرمزية التى فعلها موسى النبي برفع الحية الى البرية وما تشير الية بالنسبة لتدبير الخلاص ، فيقول : لكن إذ ترفع الحية عالياً على قاعدة مرتفعة ، فإنها تشير الى أن المسيح كان ساطعاً وظاهراً

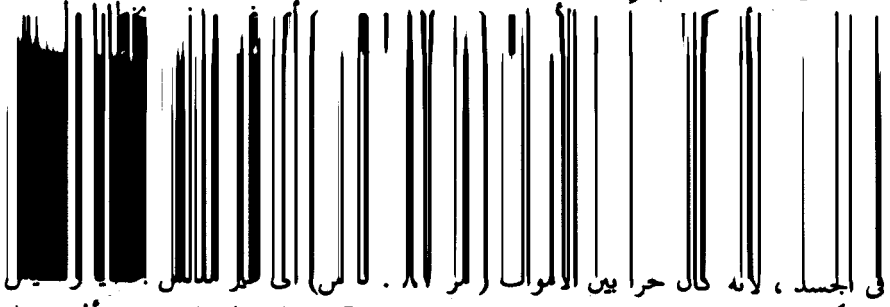
حتى لا يكون هناك من يجمله (شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري - الجزء الثاني - ترجمة دكتور جرجيس كامل يوسف - مركز الدراسات الاباء - ١٩٩٥ ص ٢٤)
 + وفي الرسالة السابعة عشرة ، في الحرم العاشر ، يقول القديس كيرلس :
 يقول الكتاب المقدس أن المسيح هو رئيس كهنة ورسول إعترافنا (عب ٣ : ١) وأنه قدم نفسه من أجلنا رائحة طيبة لله الأب . لذلك فمن يقول أن رئيس كهنتنا ورسول إعترافنا ليس هو نفسه الكلمة الذي من الله حينما صار جسداً وإنساناً مثلنا ، بل إن هذا الإنسان المولود من المرأة هو أحر على حدة ، غير كلمة الله ، أو من يقول إنه قدم نفسه كذبيحة لأجل نفسه أيضاً ، وليس بالحري لأجلنا فقط (فهو لا يحتاج إلى ذبيحة لأنه لم يعترف خطية) فليكن محروماً (ص ٣٨) .

ويتأكد هذا المعنى ، فيما يقوله القديس كيرلس في كتابه " المسيح واحد " ، وهو يرد على ابتداعات الهرطقة ، حيث يكتب :

فإذا قالوا أنه ليس الابن الوحيد الذي تجسد ، فمن ذا الذي يمكنه ان يصرح بالأمر التي لا يقدر غير الله وحده على أن يعلنها ، لا سيما خلاص الانسان مثل قوله : الخبز الذي أنسا اعطيه هو جسدي عن حياة العالم " (يو ٦ : ٥١) وكيف نفترض أن آخر غير الكلمة أو ابن إنسان فقط هو الذي يعطينا جسده المحي وهو الذي خلصنا . هذا يتعارض مع الكلمات الإلهية الصريحة " أليس الرب نفسه هو الذي خلصنا " (اش ٥٣ : ٩) . كما أن الافتراض بأن إنساناً مثلنا هو الذي خلصنا هو أيضاً مستحيل ، لأن المخلوقات الخاضعة للفساد تنال القيامة من الله وحده فهو القادر عل ان يهب الحياة ولا يستطيع أن يقيمها واحد من الخاضعين للفساد أى بشر مثلنا أخذ الحياة هبة ، أى أنه ليس في الحقيقة مالكةا ولذلك لا يقدر أن يعطيها لغيره . لكن إذ كان الكلمة هو الذي أخذ جسداً حسب شهادة الأسفار المقدسة ، وظهر للذين على الأرض وتحدث مع البشر (باروخ ٣ : ٣٨) وجعل صورة العبد صورته ففى هذه الحالة بالذات أصبح يدعى ابن الإنسان أيضاً . ولم يكن مستطاعاً أن يصبح الجسد واهباً للحياة لأنه بالطبيعة خاضع لضرورة الفساد إلا إذا صار الجسد الخاص للكلمة الذي يجيى كل شئ لأنه في هذه الحالة وحدها يمنح الجسد ما فيه من حياة ويصبح فعلاً واهب الحياة . ولاعجب في ذلك ، لأنه إذا اتحدت النار بالمعدن جعلته ساخناً مع أن المعدن بطبيعته بارداً ، لكن النار تجعل قوتها في المعدن وتببه الحرارة اللازمة .

كفكيف لا يجعل الكلمة الذي هو الحياة واهب الحياة قوته وقدرته في جسده طالما أنه تجسد به بدون إختلاط ولا تغير وجعله جسده الخاص بسر معروف له هو وحده (ص ١٠٦ ، ١٠٧)

+ وفي رسالته إلى أكاكوس عن التيس المرسل ، يقول القديس كيرلس :
فلا ينبغي أن نرى في التيس المذبوح سوى عمانوئيل محطماً للموت والخطية بواسطة موته



في الجسد ، لأنه كان حراً بين الاموات المرسلين
مذبذباً معنا بما يستحق حكم الموت . ولنزه في التيس الآخر الحى المرسل ، ففى تأله نراه
كإنسان ، وفي عدم تأله نراه كإله . وأيضاً نراه في موته بالجسد ولكنه أعظم من الموت .
وأيضاً نراه في عدم بقاءه في القبر مثلنا ، وفي عدم إمساك أبواب الهاوية به مع بقية الأموات
كما قال تلميذه " لأنك لن تترك نفسك في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً (أع ٢ :
٢٧ ، مز ١٥ : ١٠) ، لأنه قام محطماً الهاوية وقائلاً للأسرى أخرجوا وللذين في الظلام
أظهروا (أش ٤٩ : ٩) . وصعد إلى أبيه فوق في السماء الى الموضع الذى لا يمكن للبشر
الدخول اليه ، إذ أخذ على نفسه خطايانا وصار كفارة عنها ولذلك يكتب يوحنا للمؤمنين
يوحى إلهى قائلاً " يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا . وأن أخطأ أحد فلنا شفيع
عند الأب يسوع البار وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً
" (يو ٢ : ١-٢) .

ويعمضى القديس كيرلس في حديثه ويقول :

ينبغي أن أقارن بين نصوص الكتب المقدسة لتذكير سامعى . والكتب تقول ما يلى :

" ويقدم التيس الحى ويضع هرون يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بيت
إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس الحى ويرسله بيد إنسان
إلى البرية (لا ١٦ : ٢٠ - ٢٢ س) . لذلك لاحظوا كيف يدعو التيس الثاني بالتيس
الحى ، فى حين أن التيس الأول هو الذى ذبح . فكما قلت أن الإبن الواحد والوحيد
الرب يسوع المسيح يشار اليه فى الإثنين معا كمتألم فى جسده الخاص وخارج الألم ، كما
فى الموت وكما فوق الموت ، لأن كلمة الله كان حياً رغم أن جسده المقدس ذاق الموت ،
وكلمة الله ظل غير متألم ، رغم أنه جعل آلام جسده خاصة به ونسبها الى نفسه (الرسالة
٤١ - ترجمة دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحي عبد الشهيد - الجزء الثالث من
رسائل القديس كيرلس ١٩٩٥ - * مركز دراسات الآباء - ص ٦٨ ، ٦٩) .

خامساً الإنسان

نحصر حديثنا في تعاليم القديس كيرلس عن الإنسان في النقاط الأربع التالية :

- ١- كيان الإنسان .
- ٢- خصائص الطبيعة البشرية .
- ٣- سقوط الإنسان .
- ٤- غنى الطبيعة البشرية في المسيح .

١- كيان الإنسان:

إدعى البعض أن النفوس البشرية كان لها وجود سابق على خلق أجسادها ، وأنها كانت في السماء حيث عاشت حياة الغبطة لفترة طويلة في حالة غير متجسدة ، وهناك كانت تتمتع بالخيرات لأنها كانت نقية ، ولكنها عندما شبت من الخيرات التي زادت عن احتياجها انحدرت الى الأردأ وغرقت في أفكار غريبة وشهوات لا تمت لها بصلة، فالخالق بكل عدل لم يرض عنها وأرسلها إلى العالم وسجنها في أجساد ترابية ، وحبسها كما في كهف مملوء باللذات الغريبة ، حتى تتعلم من المحنة مرارة الأخطاط إلى الأذن دون إعتبار للبقاء في الصلاح .

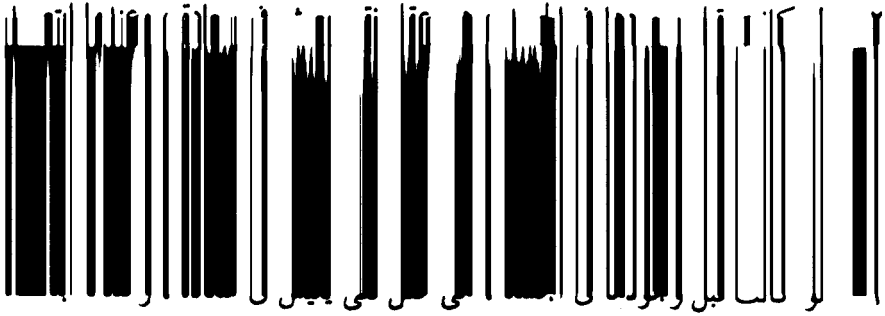
وهم يستندون في ذلك إلى القديس يوحنا " كان النور الذى ينير لكل إنسان آتيا الى العالم " مع نصوص أخرى من الأسفار الإلهية مثل " قبل أن أتواضع أنا ضللت " (مز ١١٩ : ٦٧) ، فيقولون ها هي النفس التي تقول إنما قبل تواضعها أى تجسدها قد زلت ، ولذلك عوقبت بعدل ووصلت الى عبودية الموت والفساد الذى يشير إليه الرسول وينسبه الى الجسد بقوله " ويجى أن الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت " (رو ٧ : ٢٤) .

ويرى القديس كيرلس أنه من حماقة الإدعاء بأن النفوس وجدت قبل أن توجد في الجسد ، ويقدم البراهين التالية لشرح التعليم الصحيح^١ .

١- كيف يقول الإنجيلي إنما استنارت عند مجيئها إلى العالم ، لأن الإستنارة هي كرامة وإضافة عطية . والإنسان لا يعاقب بالكرامة ولا بأن ينال الصلاح الإلهي ، بل بنوال العقاب الذى يستحقه وغضب الديان . ولكن حيث ان الإنسان الذى يأتي الى العالم ليس

١- شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندرية - الجزء الأول من ١٠٧-١٠٨ .

موضع غضب بل بالعكس يستتر ، فمن الواضح أنه كرم بالجسد ولم يأخذ الجسد كعقاب .



عن الله سقط ، ولذلك حبس في الجسد ، فكيف يستتر عند دخوله إلى العالم ؟ لأن من الواجب علينا أن نقول إن العقل كان معدماً من النور قبل مجيئه إلى الجسد ، وإذا صح هذا فكيف أمكن إنارته وهو ساقط ومحبوس في الجسد ، أما كان بالأولى إنارته قبل أن يحبس في الجسد .

٣- ماهو السبب في أن النفس التي أخطأت قبل أن توجد في الجسد ، أرسلت إلى الجسد . هل أرسلت إليه لكي تتعلم وتختبر شناعة خطاياها . إنهم لا ينجحون من أن يقولوا ذلك . ولكن من الواضح أنه كان جديراً أن تحجب النفس عن شهوات الجسد لا أن تلقى في الجسد وفي أعماق اللذات الرضيعة . لأن الدواء للشفاء ليس الجسد بل البقاء بعيداً عن الجسد . ولكن مجيئها كان في الواقع إضافة أمراض جديدة تابعة من الجسد ولذاته . وهو ما لا يدعو للإعجاب بالطبيب الذي يصيب المريض بأمراض كثيرة بما قرره له كدواء . وإذا كان حبس النفس في الجسد معناه أن النفس سوف تكف عن شهواتها ، فكيف يكون ذلك ممكناً بعد أن نزلت إلى أعماق الشهوة ، كيف تعود إلى ما كانت عليه من البدء وهي الآن قد إنحدرت إلى عمق الخطية

٤- لو كانت النفس حبست في جسد من لحم ودم كعقاب لها ، فكيف لا يكون الواجب الأول للذين امنوا بالمسيح ونالوا غفران الخطية ، أن يخلعوا الجسد ويتركوه لأنه عقاب لهم ؟ كيف تنال النفس غفراناً كاملاً وهي تظل حاملة أداة عقابها ؟ ولكن مسانراه هو ان الذين يؤمنون هم ابعد ما يكون عن الرغبة في التحرر من الجسد . بل انهم بواسطة إعترافهم بالمسيح يعلنون عن قيامة الجسد . هذا يسقط صفة أداة العقاب عن الجسد ، لأنه يكرم بالاعتراف بالايمان ، ويشهد الجسد ، بعودته للحياة لقوة المخلص الالهية ، لأنه قادر على ان يفعل كل شيء بسهولة .

٥- لو كانت النفس في وجودها السابق على الجسد قد اخطأت ولذلك حبست في الجسد ، فلماذا يامر الناموس بمعاينة الخطايا الثقيلة بالموت . هل هذا إكرام ؟ ولماذا يسمح لمن لا يخطئ بالحياة ؟ إنني أفترض أنه كان من الصواب أن الذين أخطأوا بالخطايا الثقيلة أن يعيشوا طويلاً ليكون عقابهم أكبر ، اما الذين لم يرتكبوا أية جريمة فكان ينبغي أن

يجرروا من الجسد ، ولكن العكس هو الذى يحدث .. فالقاتل يعاقب بالموت أما البار فلا يعانى من شيئاً فى جسده ، لذلك فإن حالة الوجود فى الجسد ليست عقاباً.

٦- لو كانت النفوس قد تجسدت بسبب الخطايا السابقة فكيف افادنا المخلص بابطال الموت؟ الاتكون هذه رحمة فاشلة. ولذلك يمكن ان نقول انه كان من اللائق ان تقدم الشكر للفساد وليس لمن اقامنا من الموت وبذلك جعل العذاب بلا نهاية بالقيامة من الموت لأن القيامة تصبح تجديدا للعقوبة .

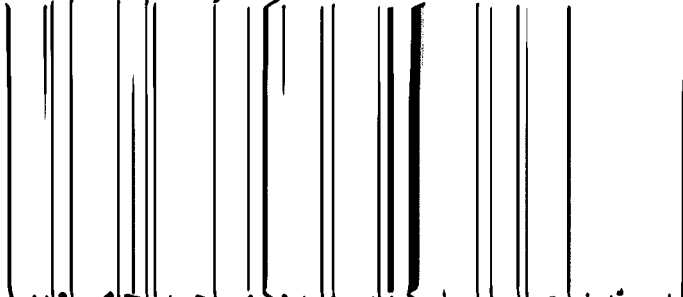
٧- لو كانت النفوس قد لبست اجسادا بسبب خطايا سابقة فكيف يكتب بولس قائلنا: قدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مقبولة عند الله (رو ١٢ : ١) وكيف يكون هذا مقبولا عند الله وهو أداة للعقاب ؟ وكيف يكون من الممكن ان يقتنى إنسان فضيلة وهو مقيم فى أداة العقاب واصل الخطية ؟ .

٨- سأل التلاميذ مرة المخلص عن المولود اعمى وقالوا " يا معلم من أخطأ هذا ام ابواه حتى ولد أعمى (يو ٩ : ٢) ، لأنه مكتوب فى الاسفار النبوية ان الله يفتقد ذنوب الاباء فى الابناء (خر ٢٠ : ٥) ، وهو ما دعا التلاميذ إلى ان يتصوروا أن هذا الكلام ينطبق على المولود أعمى ، فماذا كانت اجابة المسيح ؟ لا هذا اخطأ ولا ابواه ، بل لكى تظهر أعمال الله فيه " (يو ٩ : ٣) ، فكيف أعفى المولود أعمى وابواه من الخطيئة ، وهم فى الواقع لا يمكن اعفاؤهم من اللوم الذى ينسب لكل حياة بشرية ، لأنهم كبشر كانت لهم أخطاؤهم ؟ ولكن من الواضح والظاهر ان كلمات المخلص تعنى الفترة قبل الميلاد - أى أنه لم يكن موجوداً ولذلك لم يخطئ ، وهذا وحده ما يجعل المسيح على حق .

٩- يقول سفر الامثال " وكل يوم كنت أفرح امامه عندما فرح بكمال خلقة العالم ووجد لذته فى بنى البشر " (أم ٨ : ٣٠ - ٣١ س). وحينما يفرح الله بإنهاء خلقة العالم ويفرح بشكل خاص بخلق الإنسان ، فكيف لا يكون بلا ادراك من يحاول أن يخضع النفوس لخطايا سابقة جعلتها تسجن فى الجسد ؟ ألا يكون خالقاً لسجن وليس للعالم ؟ ألا يكون سرور مضاد للعقل فى انه يفرح بمجئ الذين أخطأوا لكى يعذبوا فى الجسد ، وكيف يكون صالحاً فى هذه الحالة . ولكن بكل يقين هو صالح وخالق السماوات ، ولذلك فإن الوجود فى الجسد ليس طبيعته عقاب .

١٠- لو كان الجسد هو بمثابة عقاب فلماذا جاء الطوفان على عالم الفجار (٢بط ٢ : ٥) . ونوح البار هو الذى خلص ونال مكافأته على إيمانه بالله ؟ ألم يكن الأفضل أن الذين هم

في الشر يبقون في الأرض ليعيشوا فترة أطول في الجسد لكي يعاقبوا أكثر وبشدة ، أما الأتقياء الصالحون فيحلون من رباطات الجسد مكافأة لهم على مخافة الله ؟



١١- إذا كانت النفس قد نزلت إلى الجسد كعقاب لها ، فكيف أحب المخلص لعارر (يو ١١ : ٣٦) وأقامه من الموت وبذلك أرغمه على العودة إلى العقاب الذي تحرر منه بالموت ؟
١٢- إذا كان بحسب غياوة أولئك ، أن الجسد للنفس كعقاب ، وبسبب خطايا سابقة لخلق الجسد ، تكون الخطية هي التي أعطت طبيعة الأجساد . ولكن من الواضح أن الموت دخل بواسطة الخطية (رو ٥ : ١٢) وهذا يجعل الخطية تتسلح ضد نفسها وتحارب نفسها لأنها تدمر ما جاءت به في البدء أي الجسد بما جاءت به بعد ذلك أي الموت . وبهذا يصبح الشيطان منقسماً على نفسه ، فكيف تدوم مملكته ؟ (لو ١١ : ١٨) كما قال المخلص ؟

١٣- لقد خلق الله كل شيء في عدم فساد وهو لم يخلق الموت ، بل " دخل الموت بجسد إبليس " (حكمة ١ : ١٣ ، ٢ : ٢٤) . ولو صح أن الجسد أعطى ليكون عقاباً للنفس ، فلماذا تنهم الشيطان بالجسد ، لأنه حسب تعليم المخالفين يكون الشيطان خير عون لأنه ينهى شقاوة وعذاب الجسد بالموت ؟ ولماذا إذن تقدم الشكر للمخلص لأنه بالقيامة ربطنا بالجسد ؟ لأن حسد الشيطان هو الذي تسبب في فساد أجسادنا . إذن لن يكون عقاباً بالمرّة أن يكون لنا جسد ، كما أنه ليس أجرة خطايا سابقة .

هذا التعليم الذي قال به القديس كيرلس يوضح الفرق بين الفكر المسيحي ، والفلسفة اليونانية التي كانت تنظر للجسد كسجن للنفس ، وترى أن الخلاص يتحقق للنفس بتحررها من الجسد وانفصالها عنه ، بينما أن المسيحية ترد الخطايا إلى الإرادة البشرية وليس إلى الجسد في طبيعته المادية ! فآدم كان له جسد قبل أن يخطئ ، ولم تكن خطيئته في كون أن له جسد بل في عصيان الله بارادته ، هذا فضلاً عن أن السيد المسيح تجسد ، ولكن لم يكن فيه خطية البتة ، وقال : من منكم يكتفي على خطية ؟ فالحية الفاضلة في المسيحية لا تتحقق في القضاء على الجسد ، بل إن الخطية هي عمل تشترك فيه الروح والجسد معاً ، وكذلك فإن الخلاص هو عمل إلهي تنعكس ثماره على الروح والجسد معاً ، ولذلك فالدينونة تتم بعد أن تلبس النفوس أجسادها ، فيحظى المخلصون بالنعيم للجسد والنفس معاً في ملكوت السموات .

٢- خصائص الطبيعة البشرية

يقول القديس كيرلس :

+ إن الكلمة هو مانح الحكمة التي في الإنسان ، فليس هناك غنى خاص بالطبيعة المخلوقة ، بل كل مانراه فيها وكل ما يخصها هو بكل يقين من الله الذي يعطى الوجود ويحقق غاية الحياة

+ الإبن بالطبيعة هو النور الذي يختلط بنا عندما يمتزج الاشتراك للكائنات المخلوقة في النور لكي تستنير به . الخليقة تحتاج الى الذي ينيرها إذ ليس لها نور في ذاتها . إن الكلمة يعطى نور الإدراك لكل من يريد بعد أن يمتحن إستحقاقه لعطية الاستنارة الباهرة ، لأن الله الآب بالإبن في الروح القدس هو كل شيء لكل أحد .

+ قال الإنجيلي " والنور يضيئ في الظلمة والظلمة لم تدركه (تعرفه) . و " الظلمة " هي الطبيعة التي تحتاج الى استنارة ، أى الطبيعة المخلوقة . ولأنه سمى الكلمة " النور " فقد أوضح أن الخليقة العاقلة التي تحتاج إلى الإستنارة هي مختلفة تماماً عن الكلمة . وهنا يستعمل الاسم الثاني للطبيعة العاقلة المخلوقة أى الظلمة كي يوضح الحقيقة الأساسية وهي ان يعلن ان الخليفة العاقلة بدون الطبيعة الإلهية هي ظلمة ، فهي عاجزة عن أن تلد شيئاً من نفسها وبقدراتها ، وهي تدعى ظلمة لأنها مختلفة عن النور ، وطبقاً لما قيل " أى شيء لك لم تأخذه " (١ كور ٤ : ٧) هذه الطبيعة تنال من الله الاستنارة ، دون أن يكون النور خاص بها من ذاتها ، وكل ما ليس من ذاتة نوراً ، كيف لا يكون العكس ، أو كيف لا يدعى " ظلمة " .

و" النور يضيئ في الظلمة " هو وصف معقول وضروري يوضح لنا الفرق بين الكلمة والخليقة العاقلة . فالكلمة وحده هو النور والخليقة هي ظلمة . وعندما تقبل الطبيعة المخلوقة كلمة الله وتشارك فيها كنور ، فإنها ترى نفسها ظلمة ، فالإبن يشرق فيها أى يشرق مثل النور في الظلمة ، ومع ذلك تظل الظلمة عاجزة عن ادراك النور . وهذا هو معنى الكلمات "والظلمة لم تدركه (تفهمه) . " فالكلمة يشرق على كل الأشياء القادرة على أن تستقبل إشعاعه وإنارته ، وينير بدون إستثناء الأشياء التي لها طبيعة مستقبلية لإنارته . ولكن الإبن الكلمة غير معروف عند الظلمة لأن المخلوق العاقل لم يعرف الخالق ينبوع الحكمة بدء الفهم وأصل كل حسن . ومع ذلك فالأشياء المخلوقة تنال النور من محبته للبشر وتزود بالقدرة على الإحساس التي تزرع فيها منذ خلقتها .

+ ومع أن المعدادان وباقي القديسين يمكن أن يقال أنهم نور ، وهذا لا ننكره لأن المخلص نفسه قال عنهم " أنتم نور العالم ، " (مت ٥ : ١٤) وايضاً قيل عن يوحنا المعدادان " لقد

أقمته سراجاً " (يو ٥ : ٣٥) ومع أن القديسين يقال عنهم أنهم نور ، ويوحنا سراج ، فإننا لا نجعل النعمة التي نالوها من النور " لأن النور في السراج وليس من السراج ، ولا نور القديسين هو من القديسين بل باستنارة الحق ، صاروا " أنواراً في العالم متمسكين بكلمة الحياة (في ٢ : ١٥ ، ١٦) . وما هي الحياة التي يتمسكون بكلمتها والتي جعلتهم يوصفون بالنور ؟ أليست بالحق هي الإبن الوحيد الذي قال " أنا الحياة " . وحقاً ، واحد هو النور الحقيقي الذي ينير ولا يستنير والذي كل من يشترك فيه ويتشبه به يمكن ان يدعى نوراً . ويجب أن يميز بين ماهو بالطبيعة وماهو بالنعمة . بين المصدر الذي يشترك فيه الكل والمشاركين فيه . بين الواهب الذي يعطى من عنده والذين يأخذون من الغنى الوافر . وإذا كان الإبن هو النور الحقيقي فليس أحد غيره هو النور حقاً . فلا يوجد من يملك إمكانية أن يصبح النور . ولا يمتلك الكائنات أن تعطى من طبيعتها النور ، لأنها خلقت من العدم ولا تستطيع أن تجود بما لا تمتلك . فمن كان أصله العدم لا يمكن أن يجود وإنما ينالون أشعة النور الحقيقي الذي يشع فيهم عندما يشتركون في الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤) وعندما يتشبهون بالطبيعة الإلهية يدعون نوراً ويصيرون نوراً .

+ لو كانت الخليقة كلها تملك القدرة على ان تكون " النور الحقيقي " فلماذا يعطى هذا اللقب للإبن وحده ؟ لو كان الإبن الوحيد ليس هو وحده النور الحقيقي ، بل تشاركه المخلوقات في هذا ، فكيف " ينير لكل إنسان ؟ . لو كانت المخلوقات تمتلك هذا لما احتاجت إلى أن تستنير بالإبن . حقاً هو النور الذي يشترك فيه الكل . إن الإنسان يحتاج إلى النور لأنه مخلوق ، وحقاً صرخ المرثم في المزامير " لأنك أنت تضيئ سراجي الرب إلهي ينير ظلمتي " (مز ١٨ : ٢٨) . إذن نحن لسنا النور الحقيقي وإنما نحن بالحرى مشتركون في الكلمة الذي ينير . إذا كان عقل الإنسان يدعى سراجاً وهو ما يشير إليه المزمور " أنت تضيئ سراجي " فكيف يقال عنا أننا نحن النور الحقيقي ؟ لأن السراج يحصل على نوره من مصدر آخر .

+ كل ماهو بالطبيعة ونابع منها هو ملك لها ، أما الأشياء التي تختارها الإرادة فهي ليست أصلاً ملكاً لها ، وكمثال لذلك : ليس بالإرادة الذاتية يستطيع الإنسان أن يصبح إنساناً عاقلاً لأنه يكون له ذلك بالطبيعة . ولكن متى يكون إنساناً يمكنه بإرادته الخاصة ان يكون صالحاً أو شريراً . فالإرادة قادرة على أن تجعل الإنسان يجب الصلاح أو العكس . فإذا

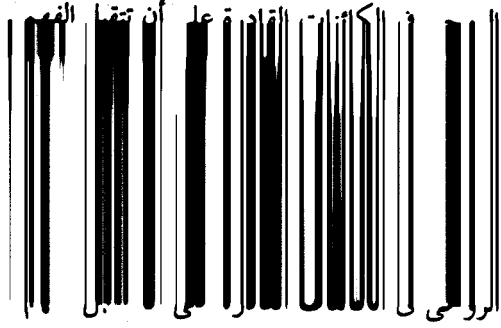
كانت المخلوقات هي النور بطبيعتها لأن هذا هو معنى " الحقيقي " فكيف لا تأتي إلى النور ؟ وكيف تحب الظلمة ؟ . فالواضح أنها بطبيعتها ليست النور الحقيقي بل تصير نوراً باختيارها إن كانت تميل إلى النور أو العكس يرفضها للنور .

+مهما كانت الخيرات التي في المخلوقات ، فهي بكل يقين من الله ، لكي لا تفتخر الطبيعة الإنسانية بما لديها من خيرات ، ولا حتى الملائكة القديسين . ونحن نؤكد هنا وعلى أساس ثابت أن أى صلاح أو خير في الموجودات ليس فيها من جوهرها بل ليس إلا نعمة مجانية من الخالق والكل يبنى على نعمة الصانع . لقد دعينا الهة في الأسفار الإلهية حسب المکتوب " ألم أقل أنكم الهة وبنو العلى كلکم " (مز ٨٢ : ٦) . هل يعنى هذا أن نتخلصى عن كياننا ونرتفع إلى جو اللاهوت غير المنطوق به ، وأن نخلع الإبن الكلمة من بنوته ونجلس نحن في مكانه مع الآب ونجعل محبة الذى أكرمنا عذراً للكفر ؟ حاشا لله . نحن بالتبني صرنا ابناء وآله بالنعمة ، غير جاهلين من نحن .

+إن الكلمة الذى من الله الآب ينير كل انسان آت الى العالم ، ليس بالتعليم مثلما يفعل الملائكة أو البشر ، وإنما كإله خالق يضع في كل المدعوين إلى الوجود بذرة الحكمة أو بذرة المعرفة الإلهية ، ويزرع جذر الفهم ، مرسلأ إلى العقل أشعة نور من بمائة غير المدرك بشكل يعرفه هو وحده . وحتى ابونا الأول آدم نال الحكمة فوراً وبدون أن يتعلم في مرحلة من الزمن مثلنا ، بل منذ بداية وجوده وكانت له معرفة كاملة واحتفظ لنفسه بالنور الذى أعطاه الله دون إنزعاج وبنقاوة ، طالما احتفظ بكرامة طبيعته غير مدنسة وغير مختلطة . عندما قال الرسول يوحنا " كان النور الحقيقي الذى ينير كل إنسان ، أنياً إلى العالم " ، لم يكن هذا واضحاً للسامعين ، هل هذا النور هو الذى ينير كل إنسان آت إلى العالم " أم أنه النور الحقيقي ينتقل من مكان إلى مكان لكي ينير لكل إنسان . ولذلك فإن يوحنا (اللابس الروح) يعلن الحق ويشرح قوة الكلمات التى نطقها ويقول على الفور " النور كان في العالم " لكي نفهم أن عبارة " آت إلى العالم " تعنى عالم الإنسان لكي ينير الطبيعة المخلوقة العاقلة التى تدعى من العدم إلى الوجود .

فالطبيعة المخلوقة ليست مثل مكان تخيله في الفكر ، بل هي تأتي من العدم الى الوجود وتأخذ حيزاً في الواقع . ولذلك عند الكلام عن الانسان علينا ان نعتقد بثقة أن طبيعة الإنسان المخلوقة نالت الاستنارة بمجرد خلقها وإنما نالت من النور الذى في العالم ، أى الابن الوحيد الذى يملأ كل الاشياء بنور اللاهوت غير المدرك . لأن يد الله تمسك بكل

شئ ، بجميع المخلوقات في الخليقة كلها ، وتعطى حياة لمن يحتاج الى الحياة ، وتزرع النور



٣- الطبيعة الساقطة

+ عندما يشرح القديس كيرلس عبارة القديس يوحنا " والعالم لم يعرفه " ، يقول : الابن ينير ، والخليقة تبعثر النعمة . لقد أعطى الكلمة للخليقة النظر لكي تدركه كإله بالطبيعة ولكن الخليقة بددت العطية وجعلت الكائنات حاجزاً يمنعها عن تأمل الله ولم تتأمل إلا ذاتها . ودفنت عطية الإستنارة تحت الإهمال " فأهملت الموهبة " التي حذر بولس تلميذه من أن يهملها ، بل أن يكون صاحباً (١ تي ٤ : ١٤ ، ٢ تي ٤ : ٥) ، فليس النور هو المستول عن مرض غير المستترين ، لأنه كما يشرق نور الشمس على الكل ولا يستفيد منه الأعمى دون أن تلوم الشمس وإنما تلوم المرض الذي أصاب العينين ، هكذا أنار الكلمة ولكن الخليقة المريضة لم تتقبل النور . هكذا النور الحقيقي الابن الوحيد الذي ينير الكل لكن " إله هذا الدهر " كما يقول بولس " أعمى أذهان غير المؤمنين لتلا يضيئ لهم نور معرفة الله ويشرق عليهم (٢ كو ٤ : ٤) . وعندما نقول أن الإنسان أصيب بالعمى إلا أنه لم يصل الى العمى الكامل او الحرمان الكامل من النور . والإنسان يطفئ النور بالحياة الفاسدة التي عاشها وذلك عندما تحول إلى الجانب المضاد لله فأضاع النعمة وفقدتها . ولذلك عندما يقدم لنا المرثم الحكيم مثال الذين فقدوا النعمة فإنه يترجى الإستنارة من الله " إفتح عيني لكي أرى عجائب من شريعتك " (مز ١١٩ : ١٨) لأنه أعطاهم الناموس معينا (أنظر أش ٨ : ٢٠ س) وهذا أشعل النور الإلهي فينا من جديد ونظف عيني القلب من الظلمة التي جاءت من الجهل القلم الذي ولد بسبب الإبتعاد عن الله .

+ العالم في الحقيقة محكوم عليه بتهمة عدم الشكر وعدم إدراك خالقه . وأيضاً لأنه لا يقدم الثمار الصالحة النابعة من الإستنارة . وهذه الحقيقة يعبر عنها النبي عندما رتل هذه الفقرة عن بني إسرائيل " ونظرت لكي يثمر عبناً ولكنه أثمر عبناً ردياً وشوكاً " (إش ٥ : ٤ س) (ص ١٢٠ وما بعدها) .

+ وعندما يشرح القديس كيرلس عبارة القديس يوحنا " والكلمة صار جسداً " ويقول : الإنسان مخلوق عاقل ومركب من النفس ومن جسد ترابي قابل للفناء .

+ وعندما خلق الله الإنسان ، أتى به من العدم إلى الوجود ، دون أن يكون في طبيعة الإنسان عدم فساد أو عدم فناء (لأن هاتين الصفتين من صفات الله وحده) . ولكن الإنسان ختم بروح الحياة فنال الإنسان بذلك الصلاح الذي يفرق الطبيعة الإنسانية ،

ولذلك قيل إن الله نفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار الإنسان نفساً حية " (تك ٢ : ٧) .
وعندما عوقب الانسان على معصيته قيل له بالحق " تراب أنت الى تراب تعود " (تك ٣ : ١٩) . فتعزى عن النعمة أى نسمة الحياة أى روح ذاك الذى يقول " أنا هو الحياة " ففارق الروح القلنس الجسد الترابي وسقط الانسان فريسة للموت أى موت الجسد وحده . أما النفس فلم تفقد عدم الموت ، لأنه عن الجسد وحده قيل " تراب أنت والى التراب تعود " . ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى أن الذى فينا والذى صار فى خطر دائم وتحول إلى الإنحلال أن يتحد بقوة ، وأن يتم نسجه من جديد بنسيج الحياة القادرة بطبيعتها على عدم الموت . وكانت الحاجة إلى رفع عقوبة " تراب أنت وإلى التراب تعود " أن يتحد الجسد بشكل فائق بالكلمة الذى يجيى الكل . وعندما يصبح الجسد ، جسد الكلمة ، فإنه يشترك فى عدم الموت الخاص بالكلمة . ولأنه من غير المعقول بالمرة ، أن النار التى لها قدرة وحرارة ذاتية على أن تحول الخشب الى نار ، تقف قدراتها ولا يمتد تأثيرها على الخشب . وهذا يعنى أننا نتمسك بأن الكلمة الذى هو فوق الكل قد أعطى الجسد من صلاحه أى الحياة فلم يكتف بتحديد النفس فقط (ص ١٢٩ وما بعدها) .

٤- غنى الطبيعة البشرية فى المسيح

فى شرحه للإنجيل حسب القديس لوقا ، يقول القديس كيرلس :

+ إن طبيعة الإنسان فى المسيح هى حرة من أخطاء شراهة ادم ، فعن طريق الاكل إهزمتنا فى آدم وبواسطة الصوم إنتصرنا فى المسيح . بواسطة الطعام الذى يخرج من الأرض ، يتقوى جسدنا الارضى ويسعى الى الحصول على غذائه مما هو مجانس له ، أما النفس العاقلة فإنها تتغذى وتنمو إلى الصحة الروحانية بواسطة كلمة الله . لأن الطعام الذى تقدمه الأرض يغذى الجسد الذى هو قريب لها أما الطعام الذى من فوق ومن السماء فيقوى الروح ويشدها . طعام النفس هو الكلمة الآتية من الله أى الخبز الروحاني الذى يقوى قلب الإنسان " (الجزء الأول ص ٨٧ ، ٨٨) .

+ تعالوا نسأل : ماذا رأت أعيننا ؟ إنما رأت الله الكلمة الذى كان فى صورة الله الآب ، وقد صار جسداً لأجلنا . إنما أبصرت ذلك الذى هو شريك عرش الآب ، ساكناً فيما بيننا وفى شكلنا ، لكى بالترير والتقدیس يشكلنا على شبهه ويطبع علينا جمال الهيته بطريقة عقلية وروحية . وعن هذا يشهد بولس ويكتب " وكما لبسنا صورة الترابي هكذا نلبس صورة السمائي " (١ كور ١٥ : ٤٩) . والرسول يقصد بصورة الترابي آدم الذى خلق أولاً . ويقصد بالسماوى الكلمة الذى هو من فوق ، الذى أشرق من جوهر الله

الآب ، ولكنه صبار مثلنا . فالذى هو بالطبيعة ابن ، أخذ شكل العبد ، ولكنه لم ياخذ حالتنا لكي يستمر في وضع العبودية ، بل لكي يعترفنا نحن الذين ربطنا بنير العبودية ، لأن



كل ما هو مخلوق هو بالطبيعة عبد ، ولكي يعترفنا بما له . فإذ الذي كان علينا لسار فقرنا ليرفع طبيعة الإنسان الى غناه ، وذاق الموت على خشبة الصليب ليرفع من الوسط الأثم الذى ارتكب بسبب شجرة المعرفة ، وليمحو الأثم الذى نتج عن ذلك ، ويرفع من الموت طفياته علينا (الجزء الثانى ص ١٤٤ ، ١٤٥) .

وفي شرحه للإنجيل حسب القديس يوحنا يقول القديس كيرلس :

+ الإبن وحده هو الذى يعطى ما يخص طبيعته ليكون فى سلطانه (أى الأمم) جاعلاً ما يخصه مشتركاً وعماماً بينهم ، ليكون هذا صورة طبيعة محبته للبشر وللعالَم . وليس هناك وسيلة أخرى غير هذه نجعلنا نحن الذين لبسنا " صورة الترابى " فرب من الفساد ، إلا إذا ختمنا بجمال صورة السمايى (١ كو ١٥ : ٤٩) بدعوتنا إلى البنوة ، لأننا عندما نشترك فيه بالروح القدس نختم لنكون مثله ونصعد إلى الصورة الأولى التى أخبرتنا الكتب المقدسة بأننا خلقنا عليها (تك ١ : ٢٧) وبذلك نكون قد إستعدنا جمال طبيعتنا الأولى وخلقنا من جديد لنكون على مثال الطبيعة الإلهية ، ونصير مرتفعين فوق الأمراض التى أصابتنا بسبب السقوط . إذن نحن نرتفع الى كرامة أسمى من طبيعتنا بسبب المسيح لأننا سنكون أيضاً أبناء الله " ليس مثله تماماً ، بل بالنعمة والتشبه به ، فهو الابن الحقيقى ، الكائن مع الآب منذ الأزل ، اما نحن فبالتبني بسبب تعطفه . ومن خلال النعمة التى أخذناها " أنا قلت أنكم آلهم وكلكم أبناء العلى " (مز ٨٢ : ٦) . فبالطبيعة المخلوقة الخاضعة للخالق دعيت إلى ماهو فوق الطبيعة بإرادة الآب فقط . أما الإبن والإله والرب فهو ليس الإبن والإله بإرادة الآب واختياره ، وإنما بالولادة من جوهر الآب ذاته يصبح له كل صفات الله وصلاحه . وأيضاً يمكننا أن نرى بكل وضوح أنه الإبن الحقيقى بالمقارنة مع أنفسنا فهو بالطبيعة له كيان خاص غير كياننا الذى بالتبني وبالتشبه . إذن هو الإبن بالحق والطبيعة ونحن صرنا به أبناء أيضاً وننال الخيرات بالنعمة دون أن نكون هذه الخيرات هى من طبيعتنا (الجزء الأول ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

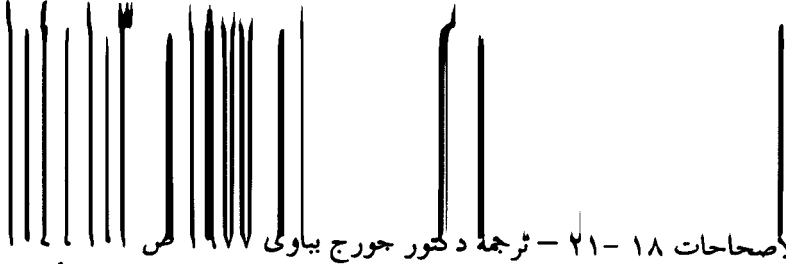
+ إن الذين دعوا الى الايمان بالمسيح للتبني يخلعون صغر طبيعتهم ، و إذ يتزينون بنعمة ذاك الذى أكرمهم بلباس فائق أن يرتفعوا إلى كرامة تفوق الطبيعة ، فهم لم يعودوا بعد أبناء اللحم ، بل بالحري أولاد الله بالتبني فنالوا ما لم يكن لهم من قبل بواسطة التبني . وبدون خوف يضيف الإنجيلي " ولدوا من الله " لكي يوضح عظيم النعمة التى أعطيت لهم والسبب جمعت كما لو كان فى طبيعة متجانسة ذاك الذى كان غريباً عن الله الآب ، وترفع العبد إلى كرامة سيده بواسطة محبة السيد للعبد (ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

+ ومن أجل منفعتنا يقول إن الكلمة سكن فينا لكي يرفع الحجاب عن السر العميق ، لأننا نحن جميعاً في المسيح . والجماعة المشتركة في الطبيعة الإنسانية ارتفعت إلى شخصه وهو ما جعله يدعى " آدم الثاني " (كو ١٥ : ٤٥) واهابا بغنى للطبيعة الإنسانية المشتركة كل ما يخص الفرح والمجد ، كما أعطى ادم الاول كل ما يخص الفساد والغم . إذن الكلمة سكن فينا أى في الكل أى بالواحد الذى " أعلن ابن الله بالقوة حسب روح القداسة " (رو ١ : ٤) ، لكي ينال الكل هذه الكرامة ، ويصبح هذا ميراث الطبيعة الإنسانية ، وبسبب واحد منا يتم القول : أن قلت أنكم الهه وبنى العلى كلكم " وحقاً في المسيح صار العبد حراً وارتفع إلى الاتحاد السرى بذلك الذى أخذ " صورة العبد " (في ٢ : ٧) وصار فينا حسب شبه الواحد المسيح بسبب قرابته لنا بالجسد ، مانحاً ذاته لنا لكي بفقره نصير أغنياء (٢كو ٨ : ٩) ونرتفع الى فوق ، إلى شبهه ، أى شبه صلاحه ، ونصير ابناء الله بالإيمان . ويتم ذلك لأن الذى هو بالطبيعة الابن وهو الله سكن فينا ولذلك نصرخ بروحه " أباً أيها الأب " (رو ٨ : ١٥) وسكن الكلمة في هيكل واحد واحد أخذنا منا ولأجلنا وصار مثل الكل ، لأنه عندما احتوى الكل فيه استطاع ان يصالح الكل في جسد واحد " مع الأب ، كما يقول بولس (أف ٢ : ١٦ - ١٨) . (ص ١٣١ ، ١٣٢) .

+ نحن جميعاً الذين كتبنا أسماءنا في عداد القديسين ، نحن نأخذ من ملئه ، والطبيعة الإنسانية التي وجدت أنها تحتاج إلى كل شئ تأخذ من ملئه . من ملء الابن كما من ينبوع الأصلى . وعطية النعم الإلهية تتدفق على كل نفس تستحق أن تأخذ . وهكذا تعطى نعم الله للمخلوقات التي ليس لها أى شئ من ذاتها ولكنها تغتنى من سخاء الذى يعطى (ص ١٣٨) .

+ تأمل كيف جاء الابن كلمة الله وسكن بيننا لكي نكون نحن مثله على قدر ما نحتمل طبيعتنا أن تأخذ منه في نعمة الخلق الجديد . لقد إتضع هو لكي يرفع ماهو أصلاً وضيع إلى مقامه العالى . وليس شكل العبد رغم أنه بالطبيعة الرب وابن الله لكي يرفع من بالطبيعة مستعبد إلى كرامة البنوة وسموها جاعلاً إياها على صورته ومثاله . كيف وبأى معنى ؟ عندما صار إنساناً مثلنا جعلنا مثله . وعندما أخذ صفاتنا وكل ما يخصنا أعطانا عوضاً عنها كل ما له . نحن بالمقام وبالطبيعة عبيد لأن المخلوقات خاضعة لخالقها ولكن دعانا إخوته وجعل الله الأب هو الأب المشترك له ولنا ، وقد تحقق هذا عندما إتخذ الطبيعة الإنسانية وإتحد بها وجعلها له . وعندما إتحد بشكلنا دعى الله ، الهنا نحن " إلهى " رغم أنه بالطبيعة ابنا ، ولكنه فعل ذلك لكي نصعد نحن إلى كرامته العالية بالتشبه به ، ليس لأننا بالطبيعة إبناء الله ، بل لأننا دعينا من قبله إلى البنوة ، وهو نفسه يصرخ في قلوبنا بروحه " أباً أيها الأب " . الابن نزل إلينا وحصل على ذات طبيعتنا ، عندما تجسد فأعطى لطبيعتنا

المقام الفريد الذي يخصه هو بشكل خاص ، ودعا الآب ، المولود هو منه ، اب مشترك له ولنا (الام المسيح وقيامته في الإنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري - تفسير



الأصحاحات ١٨ - ٢١ - ترجمة دكتور جورج بياوي ص
+ عندما سقط الانسان بعصيانه واستبعد لقوة الموت وفقد كرامته القديمة أعاده الله الآب وجمده إلى الحياة الجديدة بالإبن كما كان في البدء . وكيف جمده الإبن ؟ بموته بالجسد ذبح الموت ، وأعاد الجنس البشري إلى عدم الفساد ، عندما قام من الموت لأجلنا . ولكي نعلم أنه هو هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس ، لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة " أى " نفخته " للرسول القديسين لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المحددة . وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة ، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدد الله الإنسان ، وهو ما يسجله يوحنا . وكما خلق الإنسان في البدء على صورة خالقه ، كذلك الآن ، بالروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله . ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن الروح القدس هو الذي يهتم بصورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص . ؟ وهذا واضح تماماً من تحذير بولس للذين سقطوا في ضعف التمسك بالناموس عندما قال " يا أولادى الصغار أتم الذين أتمخض بهم مرة ثانية إلى أن يتكون المسيح فيكم " (غلا ٤ : ١٩) ، وهو يقول إن المسيح لن يتكون فيهم إلا بالروح القدس وبالحياة حسب شريعة الإنجيل (المرجع السابق ص ١٣٣) .

وفي رسالته إلى زهبان مصر ، يقول القديس كيرلس :

+ لأنه كواحد منا ، رغم أنه لم يعرف الموت ، نزل إلى الموت ، بواسطة جسده الخاص ، لكي نصعد نحن أيضاً معه إلى الحياة . لأنه عاد إلى الحياة ثانياً سالباً الجحيم ، ليس كإنسان ما ، بل كالإله بالجسد بيننا وفوقنا . إن طبيعتنا إغتنت جداً بالخلود فيه هو أولاً ، وسحق الموت حينما هجم العدو على جسد الحياة ، لأنه كما أن الموت قد إنتصر في ادم ، هكذا أيضاً قد إنهزم في المسيح . والمرتم الموحى له ، كرس ترانيم النصر له في صعوده لحسابنا ولأجلنا ، إلى الله الآب في السموات لكي تظهر السماء أنها يمكن الوصول إليها بالنسبة لأولئك الذين على الأرض (رسائل القديس كيرلس - الجزء الثاني - ص ٢٦) .

سادساً : إمتيازات العهد الجديد

نتناول الحديث في هذا المجال عن النقاط الثلاثة التالية :

- ١ - العهد القديم والعهد الجديد كتاب واحد .
 - ٢ - العهد القديم يتضمن رموزاً تشير إلى العهد الجديد .
 - ٣ - ما تميز به العهد الجديد .
- ١-العهد القديم والعهد الجديد كتاب واحد .

في شرحه لمثل السامري الصالح ، يقول القديس كيرلس عمود الدين :

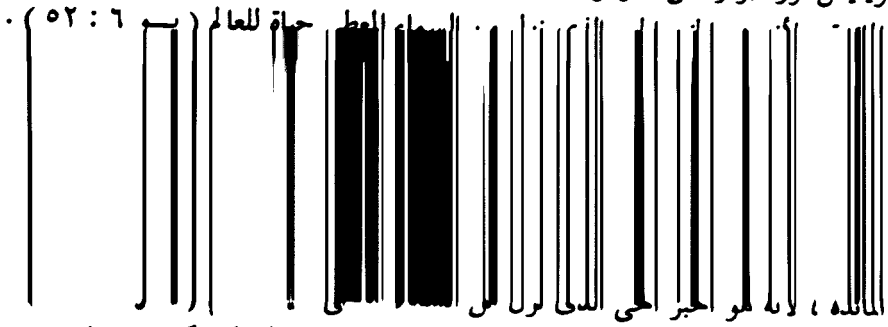
الديناران هما العهدان : العهد الذي أعطى بناموس موسى وبالأنبياء ، والعهد الذي أعطى بالأناجيل وبتعاليم الرسل . والعهدان هما لإله واحد يحملان صورة واحدة للملك السماوى الواحد ، مثل الديناران ، حيث إن الروح الذى تكلم في العهدين واحد . إذن فإن الكلمات المقدسة التى للعهدين تختم على قلوبنا نفس صورة الملك وتطبعها . وهذا عكس ما نادى به ماني وماركيون اللذان قالوا إن إله العهد القديم غير إله العهد الجديد . فواحد هو الملك المطبوع صورته على الدينارين . ومثلما أعطى صاحب الفندق الدينارين ، هكذا أعطى المسيح العهدين لرعاة الكنائس المقدسة ، وهم أضافوا عليهما الكثير باتعامم وجهدهم لنشر التعليم . هذه هى التقود التى تنفق دون أن تنقص ، بل على العكس تزيد ، مما يبين أنما فى الحقيقة كلمة التعليم الإلهى . (لوقا - الجزء الثانى - ص ١٥٤) .

٢- العهد القديم يتضمن رموزاً تشير إلى العهد الجديد .

في شرحه لمثل السامري الصالح ، يخاطب القديس كيرلس الناموسى الذى أراد أن يجرب السيد المسيح ويقول له :

إن عمانوثيل قد رسم (بضم الراء) لك بطرق مختلفة من خلال الظلال الموسوية . لقد رأيته هناك كحمل يذبح ، لكنه يقهر المهلك ويبيد الموت بدمه . إنك رأيته أثناء إعداد التابوت الذى أودعت فيه الشريعة المقدسة ، لأنه كان فى جسده المقلس كما فى التابوت ، إذ هو كلمة الآب ، الإبن المولود منه بالطبيعة . لقد رأيته ككرسى الرحمة فى الخيمة المقدسة والذى حوله وقف الشاروييم ، لأنه هو كرسى رحمة لغفران خطايانا ، بل وحق كإنسان ، فإن السيرافيم الذين هم القوات العقلية والمقدسة تمجده ، لأنهم قائمون حول عرشه الإلهى . إنك رأيته كالمنارة ذات السرج السبعة فى قدس الأقداس ، لأنه المخلص

وفيض نوره بوفرة لمن يسرعون إلى المسكن الداخلي . إنك رأيت كالحبز الموضوع على



إنك رأيت كالحية النحاسية التي رفعت عالية كعلامة ، ومن ينظر إليها كان يشفى من لدغات الحيات . إنه كان مثلنا في الهيئة التي تبدو كما لو كانت خاطفة إذ أخذ شبها ، إلا أنه بالطبيعة صالح وسيبقى على ما كان عليه . فالحية هي مثال الشر ، ولكنه برفعه واحتماله الصليب لأجلنا ، فإنه أبطل لدغات الحية العقلية ، التي هي ليست إلا الشيطان والقوات الشريرة التي تحت إمرته (لوقا - الجزء الثاني - ص ١٤٩ - ١٥٠) .

وفي حديثه عن عيد الختان ، يقول القديس كيرلس :

ولكن بعد ختانه أبطل طقس الختان . بمعنى ما كان يرمز له وأعني به ، المعمودية . ولهذا السبب ، فإننا لم نعد نختن . لأنه يبدو لي ان الختان قد حقق ثلاثة اغراض :

فأولا : أنه أفرز نسل ابراهيم بنوع من العلامة والختم ، وميزهم عن بقية الشعوب . وثانياً : أنه كان يشير مقدماً إلى نعمة وفاعلية المعمودية الإلهية ، لأنه كما كان في القدم ، بحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم ، هكذا أيضاً فإن من يعتمد بدرجة ضمن عائلة الله بالتبني ، إذ قد تصور في نفسه المسيح الختم . وثالثاً : انه رمز للمؤمنين حينما يتأسسون في النعمة ، حينما يقطعون ويميتون شغب اللذات الجسدية والشهوات ، بسكين الإيمان الحاد وبأعمال النسك ، وهم لا يقطعون الجسد ، بل ينقون القلب ويصيرون محتونين بالروح وليس بالحرف ، الذي مدحه ليس من الناس بل من فوق كما يشهد بولس الإلهي (رو ٢ : ٢٩) - (شرح لوقا - الجزء الأول ص ٤١ - ٤٣) .

ويقول القديس كيرلس في شرحه للأصحاح الثاني عشر من الإنجيل للقديس لوقا :

ولهذا يقول لهم " ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة " . ونحن نعتقد أن المفتاح المعرفة يقصد به الناموس نفسه . لأنه رغم أن الناموس كان في ظل ومثال ، إلا أن هذه الرموز ترسم لنا الحقيقة . وتلك الظلال تصور لنا بر المسيح بطرق متنوعة . كان يقدم حمل ذبيحة بحسب ناموس موسى ، وكانوا يأكلون لحمه ويدهنون القائمتين بدمه ، وهكذا كانوا يغلبون المهلك . ولكن مجرد دم خروف لا يمكن أن يعيد الموت . إنه المسيح إذن كان هو المشار اليه بمثال في شكل حمل هو الذي احتمل أن يكون ضحية عن حياة العالم وأن يخلص بموته أولئك الذين يشتركون فيه .

لذلك كان يجب على أولئك الذين يدعون ناموسيين بسبب دراستهم لناموس موسى ، ان يفتحوا أبواب المعرفة لجماهير اليهود ، لأن الناموس يوجه الناس إلى المسيح ، والاعلانات

المقدسة التي للأنبياء القديسين تقود للتعرف عليه ، الناموس سر المسيح ونمساك بكلمات الأنبياء القديسين لتثبت معرفتنا به . وهذا أيضاً ما علمنا به تلميذه بقوله (وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت ، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما الى سراج منير في موضع مظلم (تفسر إنجيل لوقا للقديس كيرلس السكندري - الجزء الثالث - ترجمة الدكتور نصحي عبد الشهيد - مركز دراسات الاباء - ١٩٩٦ - ص ١٠٠ - ١٠٥)

٣- ما يتميز به العهد الجديد.

كما قاله القديس كيرلس في امتيازات العهد الجديد:

+ قال الله بواسطة أشعيا " وأقطع لك عهداً أبدياً ، مراحم داود الصادقة ، هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب ، رئيساً وموصياً للشعوب " (أش ٥٥ : ٣ ، ٤) ، لأنه كان من الملائم ان موسى كعبد يصور خادماً للظل الذي لا يستمر ، ولكني (والكلام للقديس كيرلس) أؤكد أن المسيح كان هو المعلن الابدي لعبادة باقية لا تزول . ويعنى بالعهد الأبدى ، كلمات المسيح المقدسة ، الذي هو من نسل داود حسب الجسد ، وكلماته تنشى فينا قداسة وثقة ، كما أن مخافة الله تقيّة لأنها تجعلنا أنقياء ، وكلمة الانجيل هي حياة لأنها تنشى حياة ، لأنه هو نفسه يقول " هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب " أى أن يشهد لهم أن هذه الأمور مقبولة . ولكني لا يتصور أحد أنه واحد من الأنبياء القديسين بل لكى يعلم كل البشر بالحرى أنه يضىء بمجد الربوبية - إذ لكونه الله فقد ظهر لنا - وهكذا يواصل القول ، ليس فقط أنه جعل شارعاً أو شاهداً ، بل أيضاً رئيساً وموصياً للشعب . لأن الأنبياء المباركين وموسى قبلهم ، إذ كانوا في منزله العبيد والخدام فإنهم كانوا يقولون لسامعيهم " هكذا يقول الرب " لا كمن يعطون وصايا وأوامر ، بل كخدام للكلمات الإلهية . أما ربنا يسوع المسيح فإنه تكلم كلمات تليق بالله جداً . ولذلك كان اليهود بأنفسهم يدهشون ويتعجبون منه - لأن كلمته كانت بسلطان ولأنه كان يعلمهم كواحد له سلطان ، وليس مثل كتبتهم ، لأن كلمته لم تكن عن ظل الناموس ، بل لكونه هو معطى الناموس - فقد حول الحرف إلى الحق ، والرموز حولها إلى معانيها الروحية ، لأنه كان رئيساً وحاكماً - كان يملك سلطان الحاكم أن يأمر ويوصى (لوقا - الجزء الأول - ص ١٠٣ ، ١٠٤) .

+ وفي شرحه لعبارة " ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا " يقول القديس كيرلس :

هنا يصادق الانجيل على شهادة المعداد الصادقة ، ويضم صوته إلى صوت المعداد بان المخلص اعظم وأسمى من كل المخلوقات في المجد الذي يتكلم عنه ، والخيرات الأخرى

التي تأتي منه . لأننا نحن جميعاً الذين كتبنا أسماؤنا في عداد القديسين ، نحن نأخذ من ملئه ، والطبيعة الإنسانية التي وجدت أنها تحتاج إلى كل شيء تأخذ من ملئه (إنجيل يوحنا -

الجزء الأول - ص ١٣٨) .

+ وفي شرحه لقول الإنجيلي " ونعمة فوق نعمة لأن الناموس أعطى بموسى ، أما النعمة والحق فيسوع المسيح صاراً " ، فيقول القديس كيرلس :

بعد أن قال الإنجيلي أن مجد الابن الوحيد صار لا معاً أكثر من شهرة أى إنسان بين بني البشر ، يقدم لنا القداسة الفائقة التي لا يمكن مقارنتها بأى من القديسين ، ويقدم دراسة خاصة بهذه النقطة بالذات بمقارنة المسيح بمن عرفوا بالفضائل . لقد قال المخلص عن يوحنا المعمدان : الحق أقول لكم ، لم يرق بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان (مت ١١ : ١١) . ولكن هذا الرجل العظيم ، يشهد الآن " الذي جاء بعدى ، كان قبلي " وحيث أن مجد يوحنا أقل ، فإنه أعطى المجال لمجد الابن الوحيد . فكيف لا نفترض أن كل القديسين قد أفسحوا المجال لمجد الابن الوحيد ، فليس واحد منهم له ذات مجد المسيح المخلص الذي يظهر في أعمالهم . ولما كان القديسون الذين عاينوا الظهور الإلهي في الجسد أقل بكثير ولا يمكن مقارنتهم بالابن ، ولاحقاً يوحنا المعمدان الذي نال أعظم شهرة ولا يتحاسر على مقارنته ذاته بالابن الوحيد ، بل ختم شهادته الحققة معلناً أنه " أقل في كل شيء " . وحيث إنه من الضروري أن يظهر عمانوئيل أعظم وأقوى وأفضل من كل القديسين ، إحتاج الإنجيلي أن يقدم رئيس الأنبياء موسى الذي جاء الله وإليه وظهر له أولاً والذي قيل عنه " أنا لا اعرفك أكثر من الباقين ، لأنك وجدت نعمه في عيني (خر ٣٣ : ١٢) . فإله عرفه قبل الباقين ، كما يظهر في قول الله نفسه " إن كان منكم نبي للرب فسوف أظهر له في رؤيا وأتكلم معه في حلم ، أما عبدي موسى فليس كذلك لأنه أمين على كل بيوت ومعهم أتكلّم فمأ لقم وعياناً لا بالألغاز " (عدد ١٢ : ٦-٨) . ولما كان لموسى هذا المجد العظيم الذي فاق كل مجد القديسين حتى الذين سبقوه ، يقدمه الإنجيلي إلينا أنه متقدم في كل شيء (كو ١ : ٨) ، ولذلك يسجل الإنجيلي " ونعمة فوق نعمة " . لأن الناموس أعطى بموسى ، أما النعمة والحق فيسوع المسيح صاراً " . وأظن أن ما يريد الإنجيلي أن يعلنه هو أن المعمدان شهد وإعترف بأن الابن الوحيد أعظم منه " الذي يأتى بعدى ، مفضل عني ، لأنه كان قبلي " . وحتى لا يفترض أحد أن الابن الوحيد فاق يوحنا المعمدان وباقي القديسين الذين عاينوا ظهوره في الجسد دون أن يفوق القديسين الآخرين في العهد القديم ، قدم موسى النبي ، وقال أنه يفوق موسى أيضاً ، الذي فاق كل

الانبياء في القداسة ، والذي شهد عنه واضع الناموس أى الله وقال أنه عرفه قبل الكل .
وما دام يوحنا يجيى بعد المسيح بم لا يقاس حسب شهادة يوحنا نفسه ، كذلك رئيس
الأنبياء موسى يقل عن الرب في المجد وعلى كل من يرى أن يتعلم أن يدرس النعمة
الإنجيلية التي وهبت لنا بواسطة المخلص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة
موسى ، فسوف يرى أن الإبن أسمى بكثير ، لأنه هو واضع الناموس الأعظم الذى
يهب الخيرات أفضل من الناموس الموسوى .

وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلص ؟

لقد أدان الناموس الخليقة " لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية " (غلا ٣ :
٢٢) ، وأظهر أننا تحت العقاب ، أما المخلص فقد أعطى الحرية للإنسان " لأنه لم يأت
ليدين العالم بل ليخلص العالم " . ومع أن الناموس أعطى نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه
من عبادة الأصنام التي اضلت الإنسان ، وبالإضافة إلى ذلك أشار الى الشر وعلم الخير ،
كمعلم نافع ، أما النعمة والحق فبالإبن الوحيد ، الذى لم يقدم لنا الخيرات فى رموز ، ولا
أعطى الصلاح فى ظلال ، بل بوصايا مجيدة ونقية ، يقودنا بيده ، لكي ننال معرفة كاملة
بالإيمان .

كان الناموس يعطى " روح العبودية للخوف " ، أما المسيح فقد أعطى " روح التبني "
للحرية (رو ٨ : ١٥) . كان الناموس يختم اللحم وهو لاشئ ، لأن ختان اللحم ليس
شيئا كما يقول بولس (١ كو ٧ : ١٩) أما ربنا يسوع المسيح فهو مانح " ختان القلب
بالروح " (رو ٢ : ٢٩) . الناموس يغسل الذى تدنس بالمياه ، أما المخلص فهو يعمد
بالروح القدس ونار (مت ٣ : ١١) الناموس يأتي بمسكن كرمز للأشياء الحقيقية ، أما
المخلص فينقلنا الى السماء نفسها ويقدمنا إلى السكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان "
(عب ٩ : ٢٤ - ٢٨) . وقال بولس المبارك عن الناموس ونعمة المخلص ما يلى : إذا
كانت خدمة الدينونة مجداً ، فبالأولى كثيرا تزيد خدمة البر فى المجد (٢ كو ٣ : ٩) . إن
وصايا موسى فى خدمة الدينونة ، أما النعمة بالمخلص فهو يدعوها " خدمة السير " التي
فاقت فى مجد . وهكذا لخص بولس ، اللابس الروح ، طبيعة الفرق الدقيق بين الناموس
والنعمة ، لأن الناموس الذى يدين أعطى بموسى ، أما النعمة التي تترر فقد صارت بواسطة
الإبن الوحيد . فكيف لا يكون المسيح فائق المجد ، ربما لا يمكن مقارنته ؟ أليست الأشياء
الأفضل قد صارت لنا به ؟ (المرجع السابق ص ١٣٨ - ١٤١) .

سابعاً : سر الافخارستيا¹

أولاً : التعليم الافخارستي يتأسس على التعليم الخريستولوجي بين القديس كيرلس تعليمة عن الافخارستيا على اساس التعليم الخريستولوجي . ويرى أن فضل اللاهوت عن الناسوت يهدم سر الافخارستيا ، وفي ذلك يقول :

إذا لم يكن الجسد قد اتحد بالكلمة بشكل لا يدركه العقل ويعلو على قواعد المنطق ، فكيف يمكن أن نعتقد بأن هذا الجسد هو الجسد المحيي . لقد قال الرب " أنا هو خبز الحياة النازل من السماء والواهب للحياة للعالم .. كل من يأكل هذا الخبز يحيا الى الأبد .. والخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم " (يو ٦ : ٣٥ ، ٤٨ ، ٥١) . أما إذا كان هذا الجسد هو جسد ابن آخر غير الابن الوحيد ، فكيف يمكن لجسد آخر غير جسد الكلمة الابن الوحيد ، أن يهب الحياة للعالم ، ما لم يكن هو جسد الحياة أى الكلمة الذى من الله الاب ، والذى قال عنه القديس يوحنا " إن ابن الله جاء وأعطانا حياة ابدية . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية (١ يو ٥ : ٢٠) . ولم يكن مستطاعاً أن يصبح الجسد واهباً للحياة لأنه بالطبيعة خاضع لضرورة الفساد ، إلا إذا صار هو الجسد الخاص للكلمة الذى يحيى كل شئ ، لأنه فى هذه الحالة وحدها يمنح الجسد ما فيه من حياة ويصبح فعلاً واهب الحياة . ولا عجب فى ذلك لأنه إذا إتحدت النار بالمعدن ، جعلته ساخناً ، مع أن المعدن بطبيعته بارد ، لكن النار تجعل قوتها فى المعدن وتهبه الحرارة اللازمة . فكيف لا يجعل الله الكلمة الذى هو الحياة وواهب الحياة ، قوته وقدرته فى جسده ، طالما أنه أتحد به بدون اختلاط ولا تغيير وجعله جسده الخاص بسر معروف له هو وحده " (المسيح واحد ص ١٠٤ - ١٠٦) .

وهكذا يبدو لنا أن القديس كيرلس يعزو دور الجسد الإحيائي وبالتالى دور الافخارستيا الإحيائي إلى قوة الكلمة وقدرته ، أو كما رأينا فى العبارة السابقة " الله الكلمة الذى هو الحياة جعل قوته وقدرته فى جسده " فإذا كان القديس كيرلس ، من ناحية الخريستولوجيا ، يهيمه أن يوضح أن الكلمة جعل قوته وقدرته فى جسده الخاص به ، فهو ينقل فكرة هذا إلى الافخارستيا المحيية . يقول القديس كيرلس :

١- انظر كتابنا : الافخارستيا عند القديس كيرلس الأسكندرية - مركز دراسات الآباء ١٩٩٤ .

" ولكن من الضروري أن نضيف هذا أيضاً . وإذا تركز بموت ابن الله الوحيد حسب الجسد ، أى موت يسوع المسيح ، ونعترف بقيامته من الأموات وعوده الى السموات ، فاننا نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس ، وهكذا نقبل البركات السرية وننقلس ، ونصير مشتركين في الجسد المقدس والدم الكرم للمسيح مخلصنا جميعاً . ونحن نفعل هذا لا كأناس يتناولون جسداً عادياً ، حاشا ، ولا بالحقيقة جسد رجل متقلس ومتصل بالكلمة حسب إتحاد الكرامة ، ولا كواحد حصل على حلول إلهي ، بل باعتباره الجسد الخاص بالكلمة نفسه المعطى الحياة حقاً وبسبب أنه صار واحداً مع جسده الخاص ، أعلن أن جسده معطى الحياة ، لأنه وحتى إن كان يقول لنا " الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه " فلا نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا ، لأنه كيف يكون جسد إنسان ما محيياً بحسب طبيعة الخاصة " . (رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

ولذلك ينكر القديس كيرلس على نسطور قوله إن الجسد المقدم في الأسرار هو جسد إنسان ، وانكر عليه إعتقاده بأن الآلام هي آلام انسان ، والقيامة هي قيامة انسان ، والجسد الموضوع في الأسرار هو جسد انسان (رسائل القديس كيرلس - الجزء الثاني ص ٥٦ . وفي رده على هذا التفكير الخاطي يقول : كيف يعطى جسده الحياة لنا ، ما لم يكن جسد ذاك الذي هو الحياة (المسيح واحد ص ٢٧) .

ثانياً : ماهي الإفخارستيا

الإفخارستيا هي جسد ذاك الذي هو حي بالطبيعة في الإفخارستيا نجد ملء قوة الكلمة ، وهي القوة التي تب الحياة لكل المخلوقات ، وبها يحفظ وجودها وكيانها .

يقول القديس كيرلس :

لأنه كان لازماً ، بل ولازماً جداً لنا ، أن نتعلم أن الجسد المقدس الذي جعله جسده الخاص ، كان مزوداً بفاعلية قوة الكلمة بأن زرع فيه قوة إلهية ، لذلك فلندعه يمسك بنا ، أو بالحرى لنمسك نحن به بواسطة الإفخارستيا السرية ، لكي يمررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين وعنفهم (تفسير إنجيل لوقا - الجزء الأول - ص ١٠٨) .
فالقديس كيرلس يوحد هنا بين جسد المسيح في الإفخارستيا وبين جسد الكلمة المتجسد . وعلى ذلك فنحن باشتراكنا في الإفخارستيا لا نشترك في مجرد إنسان ، كما أن جسد

الكلمة المتجسد لم يكن مجرد جسد إنسان . وفي سر الافخارستيا نحصل على القوة
والفاعلية التي هي لجسد المسيح الخاص ، يقول القديس كيرلس :

" وقد وضع يديه أيضا على كل واحد من المرضى فشفاهم من امراضهم ، موصحا بذلك
أن جسد بشرتنا المقلس الذي جعله جسداً له وملأه بالقوة الإلهية ، كان يملك الحضور
الفعال لقدرة الكلمة قاصداً بذلك أنه رغم أن كلمة الله الوحيد قد صار مثلنا ، إلا أنه
بالرغم من ذلك لا يزال إلهاً ، ويستطيع بسهولة بواسطة جسده الخاص أن يتم كل شيء ،
لأنه استخدم هذا الجسد كأداة لعمل المعجزات . ولا يوجد أى سبب للتعجب من هذا ،
بل على العكس ، فيمكنكم ان تلاحظوا أن النار عندما توضع في إناء نحاس ، فإنها تنقل
إلى الإناء قوة إنتاج تأثيرات الحرارة . هكذا أيضا فإن كلمة الله الكلي القدرة ، إذ قد وُحِدَ
الميكمل الحى العاقل الماخوذ من العذراء القديسة مع نفسه اتحاداً حقيقياً ، فإنه ملأه بالقوة
التي تظهر قدرته الإلهية بصورة فعالة ، لذلك فلكى يخجل اليهود فهو يقول : " إن كنت
لست أعمل أعمال ابى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا
بالأعمال " (يو : ١٠ : ٣٨) . وبشهادة الحق نفسه هذه ، يمكننا ان نرى أن الإبن الوحيد
لم يعط مجده " لإنسان " منفصل عنه وغيره هو نفسه ، ويعتبر مولود المرأة ، بل بالحري إذ
هو الإبن الوحيد مع الجسد المقلس المتحد به فإنه قد صنع المعجزات وهو يعبد أيضاً من
خليقة الله . لقد دخل الرب إلى بيت بطرس وهناك كانت امرأة ممددة على فراش مرهقة
من حمى شديدة ، وبدلاً من أن يقول كإله " أتركى المرض وقومى " فإنه سلك طريقاً آخر
لكى يبين أن جسده يملك قوة الشفاء لكونه جسد الله " لمس يدها ، ولذلك تركتها الحى
" (لو : ٨ : ١٥) (تفسير إنجيل لوقا - الجزء الاول - ص ١٠٧ - ١٠٨) .

ولذلك يؤكد القديس كيرلس ، ان قبولنا للمسيح لا يكون فقط قبول القلب والعقل ، بل
قبول في سر الافخارستيا . يقول القديس كيرلس :

لذلك هيا بنا نحن ايضا لنقبل يسوع ، لأنه حينما يدخل الينا ونقبله في عقلنا وقلبنا ، فإنه
عندئذ يطفئ حمى اللذات غير اللائقة ، ويقىمنا ويجعلنا اقرباء حتى في الامور الروحية ،
وبذلك نخدمه بأن نعمل الامور التي ترضيه .

وبعضى القديس كيرلس ويقول :

ولكن أرجوا أن تلاحظوا ما أعظم فاعلية لمس جسده المقلس ، فإنها تطرد الأمراض من
كل نوع وتطرد جمعاً من الشياطين وتطرح قوة ابليس عنا وتشفى جمعاً كبيراً من الناس في
لحظة من الزمان . ورغم أنه يستطيع أن يعمل المعجزات بكلمة وبمجرد ميل إرادته ، إلا

أنه لكي يعلمنا شيئاً نافعاً لنا فهو يضع يديه على المرضى أيضاً ، لأنه كان لازماً ولازمًا جداً لنا ان نتعلم أن الجسد المقدس الذى جعله جسده الخاص ، كان مزوداً بفاعلية قسوة الكلمة بأن زرع فيه قوة الهية (المرجع السابق ص ١٠٨) .

إن هذا الجسد الملى بقوة الكلمة وقدرته المحيية هو - حسب القديس كيرلس - ما يدعوه المسيح " بالروح " فى (يو ٦ : ٣٦) ، حيث يقول الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً فحسب تفسير القديس كيرلس ، إن جسد المسيح الخاص الممتلى بقوة الروح المحيية ، هو ما يدعوه يوحنا هنا بالروح . القديس كيرلس يرى أن التعارض بين الروح والجسد فى (يو ٦ : ٣٦) ، يعادل التعارض بين مجرد الجسد (أى جسد الإنسان الأرضى) وبين جسد المسيح المتحد بالكلمة . وهذا التفسير الذى يقول به القديس كيرلس هو السائد فى الفكر الأبائى والذى تأخذ به كنيستنا . فعندما نقرأ يوحنا ٦ نلاحظ أن التلاميذ أصابهم الدهشة .

لقد قال لهم السيد المسيح ان من يأكل جسده ويشرب دمه له حياة ابدية ، أى جعل جسده ودمه يعطيان الحياة الابدية ، بينما إنه من المعروف لديهم أن روح الله هو الذى يهب الحياة الابدية . فعاد السيد المسيح وأكد لهم أن جسده أيضاً يعطى الحياة الابدية ، لأنه ليس كأى جسد عادى ، إنما هو جسد متحد بالقوة الإلهية والذى فيه حل كل ملء اللاهوت جسدياً^١ .

ثالثاً: مسميات سر الإفخارستيا :

بالنسبة للقديس كيرلس - المسيح هو واهب الحياة ليس فى معناها الطبيعى بل أيضاً فى معناها الروحى الفائق للطبيعة ، أى الحياة الابدية ، فهو يؤكد فى تفسيره للإنجيل حسب القديس يوحنا أن هذه الحياة فوق الطبيعة ، نحصل عليها من خلال سرى المعمودية والافخارستيا ، وفى ضوء هذا يطلق القديس كيرلس على سر الإفخارستيا بعض التسميات المبنية على مفهوم الحياة .

ومن هذه التسميات :

"جسد محيى" (Sarx Zwophoros)

"جسد الحياة" (H Sarx Tys Zwys)

"الأولوجيا المحيية" (Eulogia Zwopoios) وكلمة "أولوجيا" هنا يمكن أن تترجم "شكر" أو "بركة" أو "الشكر المحيى" أو "البركة المحيية" .

١- انظر فى هذه الدراسة : Ezra Gebremedhin : Life-Giving Blessing. An Inquiry Into The Eucharistic Doctrine of Cyril . Alexandria (1977)

"الذبيحة المحيية" (Thesia Zwopoiος)
"ناقلة الحياة للطبقة الإلهية المحيية" (Zwopoiος dorō Phoria)

"البذرة المحيية" () .

رابعاً : تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه :

في عبارات واضحة يتحدث القديس كيرلس عن تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فهو يقول :

عندما نضع القرايين أمام الله نصلي بإلحاح لكي تتحول لنا الى " بركة روحية " حتى إذا تناولنا منها تغذى في أجسادنا وأرواحنا " ثم يقول: الكائن يشير إلى القرايين قائلاً : هذا هو جسدى .. هذا هو دمي ، لكي لا تظن أن ما يظهر أمامك هو مجرد رمز ، لكي تعرف جيداً انه بفعل قدرة الله الضابط الكل الفائق كل وصف ، قد تحولت القرايين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه (اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر - الجزء الثالث - للاب (حالياً المطران) سليم بسترس - منشورات المكتبة البوليسية - لبنان - ١٩٨٨ ص ١٧٨ ، ١٧٩)

وفي رأى القديس كيرلس ان نسطور نزع عن الافخارستيا قوة " وهب الحياة " وحوها إلى أكل لحوم البشر ، إذ في فروضه ، إنه مجرد جسد إنسان موضوع على المذبح ، وأن الجسد الذي يأكله المؤمنون ليس بالحق حياً باللوغوس (القمص تادرس يعقوب : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت - كنيسة مارجرجس بإسبورتنج - ١٩٨٦ ص ١٤٤) .

خامساً : الإفخارستيا هي شركة في حياة السيد المسيح :

الإشتراك في سر الافخارستيا هو الاشتراك في حياة المسيح .

الافخارستيا تعمل فينا كما تعمل الخميرة في العجين ، وتأثيرها فينا ليس فقط تأثيراً روحياً بل وأيضاً تأثير جسدى . إن تذوق الإفخارستيا ه و تلامس مع المسيح الحى كما حدث لمس أو تماس بيد المسيح عندما شفى حماة سمعان أو عندما أقام ابنه يابوس أو إبسن أرملة ناين .

من خلال الإفخارستيا يصير المؤمن متحداً مع المسيح (Susswmoi) (jo 11 pg. 72,560)

في سر الافخارستيا يصبح المؤمنون شركاء الطبيعة الالهية (pg. 74,34 CD)

إن المؤمنين يمتزجون (Sunanakirmasthai) بالمسيح على مستوى يناسب الإنسان

تيا يختلط المؤمن (anamignumenos) بالمسيح من
جسدة . (jo.pg.73,584,bc)

أو يفرس (Emphuteuein) حياته الخاصة في المؤمن الذي
(jo

في المؤمن جسدياً بالشركة (Koinwnia) في
(jo16

(Katoikein) في المؤمن كحياة ومعطى الحياة

شركة المقدسة للمسيح ، يصير المؤمنون شركاء (Koinwnia)
ة وإلى عدم الفساد (jo .3,PG.73,521C)

أن نزرع ونفرس في حياة الإله التانس .

كيرلس عن إتحاد يتحقق بين المؤمنين بعضهم وبعض
الواحد ، فهو يكتب :

لال سر الأفخارستيا- لهؤلاء الذين يؤمنون به . انه يجعل
بعض ، بالجسد الواحد أى جسده الخاص (560 B) ،

لدوا معاً من خلال شركتهم معاً في الإفخارستيا ، يصف
حدون في جسد واحد (Susswmoi) ، ويسمى الق

طبيعي (Enwsis Phusike) (11PG.74k560 BD)
بوحدة مع المسيح ومع بعضهم البعض .

أن القديس كيرلس يستعمل نفس اللغة التي يستعملها
والناسوت في طبيعة المسيح الواحدة ، إلا أن القديس

الوحدة بين اللاهوت والناسوت في المسيح ، وبين
لمسيح في سر الإفخارستيا ، ويسمى : الإتحاد النسبي

السيد المسيح ، هو أصل الإتحاد ، ليس فقط بين الله
وبعض . إن كون المسيح له نفس الجوهر مع الآب ،

لإنسان ، وكون المسيح قد إتخذ طبيعتنا البشرية وإتحد

بين الله والإنسان ، وكون المسيح قد إتخذ طبيعتنا البشرية وإتحاد
تجاد بين الإنسان والإنسان .

كيرلس :

بأ واحد في الآب والابن والروح القدس ، وأيضاً في الشرك
(jo.11,PG.74 , 564d)

الفساد - أهم هبات الإفخارستيا :

من جسد المسيح ودمه الأقدس يتم قهر القوى العدائية التي
الفساد الذي يحل بالإنسان . ان الإفخارستيا تهب الخلود وتحم
وتحصنه ضد الفساد وتهب الحياة الأبدية . إن الإنسان المائت
الذي هو حي بالطبيعة ، إذا كان يرغب في أن يستعيد الخلود

(lu 22 : 19 PG.72k9). إن أكثر الخواص التي تعكس
د القديس كيرلس - هي خاصية الخلود (PG74,276D-A)

ن أدى الى فقدان الإنسان لروح الله . وتبعاً لذلك فقدانه للخ
هب الانتصار على الموت للإنسان بواسطة سر الإفخارستيا ،
رتدى الجسد عدم الفساد (PG. 72,297D)

يعيق المقدس يحفظ (Sunechein) الأجساد التي إمتزجت (إتح
فخارستيا وبقائها من الفساد (PG73,520D) .

ت في الإنسان يستبدل بحلول الحياة والخلود . إن الم
(Aname) ويطرد الموت الذي حل في جسد الإنسان ، وهو
خلود (Sperma Athansias) وهذه تبطل الفساد الكائن

تطرد (Ex Elaunein) الموت وتنقذ من (Existanai) الف
نما تهزم (Nikaw) الفساد بصورة مطلقة (B 344 , 74)
(PG74) الموت الذي اصاب أعضاء الإنسان (869 Cd) .



كتاب : القديس كيرلس الاسكندري
— ف : الدكتور موريس تاوضروس
ثانية

لايداع : ٢٧٩١ / ٢٠٠٢

I.S.B.N. - 977 - 55 - 321

م الغلاف : عماد جورج ت : ٥٧٢٠٤٧٥ / ١٠
: دار الناسخ للطباعة

من دكتور موريس تاوضروس ت : ٦٣٤٨٠٠٥

مكتبة المحبة : ٢٤ ش شبرا — مصر

دار أنطون : ١١ ش ليون — شبرا

السعر ٥